مكتبتنا العربية

تاج الدين السبكى

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المراغى
مدير المساجد بوزارة الأوقاف

يطيب لى أن أوفى بما وعدت فى مقالتى السابقة فأتابع الترجمة لهذه الأسرة المباركة من شيوخنا السبكيين الذين أسلفت لك الحديث عن أول أئمتهم ، وأصل دوحتهم تقى الدين السبكى . واليوم أترجم لابنه الفقيه العليم والإمام العظيم تاج الدين السبكى وهو من كبار قضاة المسلمين ونوابغ علمائهم تعده مصر فى مفاخرها اللامعة ويذكره الشرق كله بين كواكبه الساطعة بما نشر من العلم وأكثر من التأليف وهو عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى ابن تمام السبكى الشافعى الملقب بقاضى القضاة تاج الدين المكنى بأبى نصر الفقيه الشافعى الأصولى المؤرخ ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧ هجرية وتلقى دراسته الأولى عن أبيه لأنه كان من أفاضل العلماء ثم تلمذ لغيره من علماء مصر فمكنه استعداده الفطرى الممتاز من أن يحصل فى قليل الزمن من العلم ما يعسر على سواه تحصيله فى الزمن الطويل والسنين الكثيرة وقد أراد الله سبحانه للناشىء النابغة أن يزداد تقدما فى العلم وسبقا الى الفضل فرحل مع والده الى الشام فتهيأت له الفرصة الطيبة للأخذ عن علمائها والتخرج فى مجالس شيوخها ، ومن الشيوخ الذين أسعده الحظ بالتلقى عنهم والانتفاع بعلمهم الحافظ المزى والذهبى وشمس الدين بن النقيب وقد أجازوه بالتدريس والفتيا فأفتى ولم يتجاوز عمره ثمان عشرة سنة وأصبح نابغة فى الفقه والأصول وما زال يتألق فى سماء الشام نجمه ويذيع فى أرجائها صيته حتى ولى القضاء فى التاسعة والعشرين من عمره سنة ٧٥٦ هـ وتلك سن مبكرة شاهدة له بالفضل والتبريز فى العلم مما رشحه لمنصب القضاء الذى كان لا يتولاه إلا الشيوخ المتقدمون والعلماء المسنون .

مكتبتنا العربية

ولقد كان فى منصبه آية عصره يملأ الأبصار والأسماع غزارة علم واستقامة رأى وصحة استنباط يزين ذلك كله قوة حجة وطلاقة لسان وثبات جنان وما يجتمع لرجل تلك الجوانب المتعددة من الفضل والصفات النادرة فى الحفظ والتحصيل والفقه والإحاطة إلا أوغرت عليه الصدور وأكثرت له الخصوم ولذلك تألب على الإمام السبكى المتألبون وكاد له المبطلون فافتروا عليه فى دينه واتهموه فى عقيدته وشككوا فى استقامته فعزل من منصبه وجىء به إلى مصر مغلولا مقيداً فصبر الإمام العليم فى محنته وأدى زكاة نعمته بما احتمل من آلام وقاسى من اضطهاد وفى ذلك يقول ابن كثير « لقد جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله وحصل له من المتاعب ما لم يحصل لسواه » وقد أعقبه الصبر الجميل ما وعد الله الصابرين من حسن عاقبة الدنيا وأجر الآخرة فبدله الله من الشدة فرجا ومن الآلام سلاما فبرىء من التهمة وخرج من هذه المكيدة عزيزاً كريما وعاد سيرته الأولى فى القضاء بين الناس ونشر العلم بين المسلمين والظاهرة المحبوبة المشكورة فى سيرة إمامنا السبكى إنه لم يشغله منصبه وواجباته عن التأليف والتصنيف فكانت حياته قصيرة الزمن إذ توفى سنة ٧٧١ هجرية وهو فى الرابعة والأربعين من عمره كما هو معروف فى حياة النابغين ينبغون مبكرين ويموتون مبكرين ولكنها حياة مباركة طيبة عظيمة النفع جليلة الأثر حالية الأثر بما ترك من مؤلفات لا يزال بها إلى اليوم حياً ولا يدرى إلى الله كم تطول من أجلها حياته العلمية ويمتد به البقاء ولكى نظهرك على نواحى نبوغه وصنوف العلوم التى حصلها وأتقنها وصنف فيها نسوق هنا ما قاله الحافظ شهاب الدين بن حجى فى ذلك.

حصل تاج الدين فنوناً من العلم من فقه وأصول وكان ماهرا فيه وفى الحديث والأدب وبرع وشارك فى العربية وكانت له اليد الطولى فى النظم والنثر جيد البديهة صنف تصانيف عدة فى فنون كثيرة على صغر سنه قرئت عليه وانتشرت فى حياته وبعد موته وإليه انتهت رياسة القضاء والمناصب بالشام ومن المدارس التى درس فيها فى مصر والشام الشيخونية والجامع الطولونى والعزيزية والعادلية الكبرى والغزالية والعذراوية والشاميتين والناصرية والأمينية ومشيخة دار الحديث الأشرفية . ومن هذا نتبين أن شيخنا السبكى قد قضى أيامه كلها عاملا مجاهدا فى

مكتبتنا العربية

إقامة العدل بين الناس وإذاعة العلم فيهم لم يشغله عن ذلك نعمة ولا محنة ولا إقبال دنيا ولا إدبارها وكذلك العلماء إذا شغفهم العلم حباً فاستأثر بهم وشغلهم عن مباهج الدنيا وشواغلها حتى يكون هو فى النعمة هناءهم وفى المحنة عزاءهم فتراهم قد أخلصوا وفنوا فيه وقد ترك لنا عمله الموصول وتأليفه المستمر مصنفات قيمة نبينها هنا تسجيلا لفضله وتنويهاً بجليل قدره وهى شرح مختصر ابن الحاجب فى مجلدين سماه (رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب) وشرح منهاج البيضاوى فى الأصول الذى أتمه بعد والده كما بينا فى مقالنا السابق والقواعد المشتملة على الاشباه والنظائر وطبقات الفقهاء الكبرى فى ستة أجزاء والوسطى فى مجلد ضخم والصغرى فى مجلد صغير والترشيح فى اختيارات والده وجمع الجوامع فى أصول الفقه وشرحه بشرح سماه (منع الموانع) .

تلك مصنفات كثيرة العدد غزيرة العلم عظيمة النفع . غير أنه يجدر بنا أن نشير من بينها إلى مصنف جمع الجوامع فى الأصول الذى يعرفه الأزهر معرفة أعلت ذكره وأجلت قدره وجعلته عمدة الدارسين لفن الأصول مدى عدة قرون من الزمان ، وجلة شيوخنا المحققين قد مارسوا هـذا الكتاب وتخرجوا عليه واستنبطوا أسراره واستخرجوا لبابه . ولقد كانت المقدرة على تفهم هذا الكتاب وادراك مراميه مقياس البراعة وآية التحقيق فى فن الأصول إلى عهد قريب بين الأزهريين . رحم الله شيخنا السبكى وأمثاله من أئمتنا المحققين ، وعلمائنا النابغين ورزقنا الأسوة بهم والاقتداء على آثارهم ، حتى يصل الأزهر فى مجده طارفا بتليد ويظل عزيزا بحاضره وقابله كما يعتز بماضيه المجيد ؟

حماسة

قال قيس بن عاصم المنقرى وكان مشهورا بالسيادة والحلم :

أنى امرؤ لا بطيء حسبى دنس يهجنه ولا أفن
من منقر فى بيت مكرمة والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه أعفة لُسُنُ
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فُطن

مكتبتنا العربية

كلمات

لحضرة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

---

١ — العلم والعمل :

ما أكثر العلماء فينا وما أقل العاملين ! نعرف النحو دقيقه وجليله ، ولكنا لانعرف أن نقيم ألسنتنا إذا تحدثنا ؛ ونعرف المنطق قديمه وحديثه ، وكيف يتركب الدليل من مقدمات تكون عنها نتائجها ، ولا نعرف مع هذا أن نكون منطقيين عملياً فى تفكيرنا ؛ ونحذق علوم البلاغة ، وأن لكل مقام مقالا ، وأن الكلام يكون بليغاً إذا توفر فيه كذا وكذا ، فاذا أخذنا فى الكلام جاء ما ننطق به سقيما عليلا ؛ وعرفنا الأخلاق وأصولها ، والفضائل وطرقها ، والغرائز والأمزجة والعواطف وعلاجها ، ولكن عجزنا عن تكوين الضمائر الحية المستقيمة فى نفوس طلابنا وقرائنا ؛ والفقه وعلم الحلال والحرام حفظنا الكثير من متونه ، وقتلنا بحثا الكثير من شروحه ، ولكنا فى سيرتنا ومعاملاتنا لا نتفق وما عرفنا من الشريعة ؛ ونعرف كيف تدار المعاهد والمدارس ، وكيف ينشأ التلميذ على الطاعة والنظام ، وكيف يجب أن تكون العلاقة بين المدرس والتلميذ والرئيس والمرءوس ، ولكن لم يتبع منا كثير يعتبرون بحق إداريين حازمين محبوبين ممن تحت أيديهم ؛ ونعرف أن صحراء مصر وتربتها غنية بالمعادن المختلفة ، ولكننا لا ننقب فى جد عنها ؛ وخزان أسوان نعلم علم اليقين ، منذ زمان وأزمان ، أنه يمكن الإفادة منه فى توليد الكهرباء ، فيكون مصدر رغد وسعادة وقوة للأمة ، ولكنا حتى الآن لم يتم لنا شيء فى هذا السبيل أو نحتفل كل عام بعيدى الهجرة والمولد ، ونذكر جاهدين فى هاتين المناسبتين العظيمتين كثيراً من مزايا الإسلام وأمجاده ، ولكن لايستطيع أن يزعم الكثير منا أنه يحقق فى نفسه بعض هذه المزايا ويحاول أن يفيد حقاً من هذه الأمجاد ؛ ومنا الطيب وهو بحكم عمله رسول رحمة ، وقد كان يسمى قديماً

مكتبتنا العربية

باسم الحكيم وهو اسم من أسماء الله عز وجل ، والفيلسوف أو مدس الفلسفة التى تقوم على البحث عن الحكمة والتوفر عليها وطلب الحقيقة وحبها ، ولكن أصبح الكثير من الأطباء ودعاة الفلسفة بعيدين عن الرحمة والحكمة والحقيقة !

علام تدل كل هذه المثل ، التى انتزعناها من واقع الحياة الفردية والاجتماعية ، وسواها كثير ؟ إنها تدل على أننا أمة تقول ولا تفعل ، وكبُر ذلك مقتا عند الله ما أكثر من يتكلم منا حتى الآن عن خطورة اختلاط البنات والبنين ، وبناته يملأن دور اللهو البرىء وغير البرىء ويجلسن مع الشبان جنبا لجنب فى المعاهد الأجنبية والجامعة ! ومن يتكلم فى الراديو حاثا على البر بالفقراء ومساعدة المكروبين بلهجة تلين الأفئدة الجامدة ، ولكنه يأبى أن ينزل عن بعض ما يأخذ من أجر على ما يذيع للغاية التى يدعو إليها !

يا قوم ! ليس بمثل هذا تتقدم الأمة ويسعد الشعب ! نحن فى حاجة الى من يؤمن بما يقول إيمانا يدفعه الى العمل به ، وإلا فليوفر على نفسه وعلينا عناء القول ! نحن فى حاجة الى علماء وخطباء ودعاة إصلاح مؤمنين بعلمهم ، ويكونون بأعمالهم قدى صالحة لغيرهم ، فينفعون وينفع الله بهم . نحن فى حاجة الى نفوس شريفة تعرف للعلم قيمته ، فتطهر به ، ثم تصدر عنه فى كل ما تعمل .

وقع نظرى منذ أيام على كتاب « فى أخلاق العلماء » للمغفور له الشيخ محمد سليمان ، فأعجبنى ما صدره به من كلمة يقدمها لابنه ، كلمة تتصل بموضوع ما نتحدث به الآن . لهذا أنقل بعضها ، ففيها عظة وتذكرة لمن يريد أن يتذكر ، وجمال وخير لمن يحب أن يرى ويسمع .

يقول رحمة الله له ورضوانه عليه : « واعلم يا بنى أن نور العلم أن تستقبله نفس مستعدة له ، فهى التى تستنير به ، وتشعه على الناس . إنه يصفيها فتصفى ، وتكون به نورانية من ومض الله نور السموات والأرض ، كالمنار يهدى الضال ، وينير الدلج فيسلخ الظلام ، وهذه وظيفة العلم . إنه يطهر النفوس كالبوتقة تصهر الذهب ، فيذهب ماله من خبث ، ثم يكرم حتى يتعامل به الناس ، وحتى يكون الثمن الذى يوازن به كل عرض فى الدنيا . أما العلم الذى تستقبله النفوس الصلدة

مكتبتنا العربية

المظلمة ، فهو الذى لا يضر ولا ينفع ، ومثله يا بنى مثل ما ترى من لعب الصبيان بالمرآة إذا عكسوها على الشمس ، ألا ترى الشعاع المنعكس منها يعشى ويحرق ؟ ذلك أن وجه المرآة صلد لا ينفذ منه النور ، وقلبها أسود لا يتقبله ، فارتد بذلك على الآخرين ناراً ونقمة . ليست الغاية من العلم أن تعلم فحسب ، بل الغاية أن تعمل بما تعلم من الخير ، وأن تكون بعلمك قدوة الخير لقومك ، القدوة التى تؤثر فى الناس بالتأسى . فكن كما تحب أن يعرف عنك ، بالحقيقة الواقعة ، لا بالقول الموضوع ولا بالعمل المصنوع ، بل بالإخلاص فى صفاء النفس وتربية الضمير » .

وهذا كلام جليل من رجل مجرب عرف الدنيا وعرفته ، وخالط الكثير من جميع طبقات الناس حاكمين ومحكومين ، فهو يجل عن التعليق ، بل لعل التعليق عليه ـ إن حاولناه ـ أن يفسده ، وعسى أن ينفع الله به بعض قارئيه .

٢ — الصلة بين العلم والعمل :

والكلام على العلم والعمل على النحو الذى قدمنا ، يجر إلى الحديث عما بينهما من علاقة وصلة ؛ أهى صلة المعلول بعلته ، فكلما وجدت هذه وجد ذاك ؛ أى كلما كان العلم بأن كذا خير ، حصل العمل وفق هذا العلم ، وذلك كما يرى سقراط مؤسس علم الأخلاق ؟ أم أن الأمر ليس كذلك ، كما يرى أرسطو المعلم الأول وأنصاره ؛ فقد يعلم الإنسان ولا يعمل ، وقد يعمل على ضد ما يعلم .

إن كان كلام سقراط هو الحق ، فلا تفسير لوقوعنا فى الإثم أخلاقياً ، أى لتقصيرنا فى العمل ، إلا أننا لا نؤمن بما نعلمه إيماناً يقينياً . وإن كان الحق فى جانب المعلم الأول ، وأن الخطأ الأخلاقى ليس مرجعه إلا إلى قوة الهوى وأسر الشهوة ، فقد غلب عنا العقل وغلبتنا الشهوات على أمرنا !

وأرى الخير والحيطة لأنفسنا أن نعمل على استكمال علمنا بالخير حتى يكون علماً لا يلابسه شك ، ويقيناً لا يخالطه ريب ، فيدفعنا ذلك للعمل على وفقه ؛ وأن نأخذ فى ذات الوقت فى العمل على إضعاف الهوى ودواعيه التى تصرفنا عن استلهام العقل واتباعه ، وتدفعنا لأسر الشهوات وفتنتها .

مكتبتنا العربية

ومما يعين على درك الغاية التى نرجو ، إدمان المطالعة فى كتب التراجم إن هذه الأسفار عباب علم ، وصفحات مجد وفخار للإسلام وعلمائه ، هؤلاء العلماء الذين خالط الإيمان قلوبهم ، فعرفوا الله حق معرفته ، وتجلت لهم الدنيا على حقيقتها قرأوها شيئاً تافهاً لا يوازن بشيء من الكرامة والمروءة . إن هذه الأسفار مليئة بأخبار جلة العلماء ، ومواقفهم مع الأمراء والسلاطين والخلفاء حتى فى عصور الاستبداد ، وكيف كانوا لا يرعون إلا الله وحقه والعلم وكرامته ، فعزت وعزت بهم البلاد ، وسعدوا وسعدت بهم الأمة .

إن فى كتب سيرة المصطفى وأبطال الإسلام ، وترجمات العلماء الأعلام ، لغذاء النفوس ، ومتعة للقلوب ، وحافزاً للاعتزاز بالإسلام والتشبه برجالاته . وكم يكون جميلا وخيراً إذا جلونا للناشئة بعض هذه السير ، واتخذنا من أصحابها مثلا علياً لنا ، وكنا لهم قدوة طيبة عملية !

(٣) يشعر البعض منا بأنه غريب عن الناس ، هين عليهم ؛ فاذا ضمه مجلس بآخرين ليسوا على لونه فى الثقافة رأيته يلم ثيابه ، ويتداخل فى نفسه ، ويرى السلامة منهم غنيمة ، والانصراف من المجلس نجاة وراحة ، لماذا هذا الإحساس ؟ وما عوامله ؟

لعل أهم عوامل هذا الإحساس لدى من يحسه ، هو شعوره بأنه يعيش فى دنيا غير دنيا الناس ، فهو فى واد وهم فى واد آخر ، وهو لهذا ثقيل عليهم برم بهم ، إذ يعلمون ما لا يعلم من المعارف المتعددة الألوان ، وربما أنكروا عليه أن ما يعلمه ذو غناء فى هذه الحياة .

ونعتقد أن فى هذه النظرة القليلة غير قليل من التجنى والمغالاة ، كما أنها كانت تصدق فى الماضى أكثر من الزمن الحاضر ، الذى صار فيه الأزهرى يشارك مشاركة طيبة فى درس ألوان المعارف التى لا بد منها للثقافة العامة ، فضلا عن دراسة ما تخصص فيه من علوم .

على أن هذا لا يمنع من أن نقول إننا لا زلنا ملومين من بعض النواحى ، إذ نبذل كثيراً من مجهودنا العقلى وزمننا الدراسى فى تعلم وتعليم ما لا يجدى ، سواء من ناحية المادة نفسها موضوع التعليم ، أو من ناحية طريقة تعليمها .

مكتبتنا العربية

ولنترك الآن أحد أعلام الأزهر وأفذاذه ، وهو المغفور له العلامة الشيخ حسين والى ، يضرب المثل لذلك من عناية الأزهريين بعلم الكلام عناية أعنتوا أنفسهم بها ، وأضاعوا بسببها كثيراً من الوقت والجهد كان من الخير أن ينفقا فى العلم الناجع المفيد . يقول السيد الأستاذ فى الجزء الأول من كتاب التوحيد :

« علم الكلام حادث فى الملة الإسلامية ، ومشى فيه الناس صوراً بعد صور ، وكل منهم يقرر صحة العقائد ويستنهض الحجج والأدلة ، وما فعلوا ذلك إلا لوجود خصوم من المبتدعة وغيرهم فكانوا معذورين فيما كتبوا . أما الآن فقد ذهبت تلك الخصوم وجاءت خصوم آخرون ، فلا يليق فرض الذاهب حاضرا وترك الحاضر الذى لا يرده إلا كتاب الله إذا بيّنه الراد وكان له عقل ! أما تلك الكتب ، فان فيها حجبا كثيفة تمنع النور وتحدث الظلمة ، وربما قضت على اعتقاد صحيح ثابت .

أمن العقل والحزم أن يتوجه الإنسان إلى مباراة خصم موهوم ، ويترك الخصم الذى ضيق عليه المسالك وأوشك أن يميته موتا ؟ إن هذا لهو البلاء المبين ! أمن الحزم الرد على فرقة من فرق المسلمين ليس لها إسم أو وجود إلا فى الكتب ، وترك الرد على طاعن موجود الآن ؟ أمن الحزم أن يضيع الإنسان عمره فى الاشتغال بخصوم موهومة وإن كانوا ناجين لأنهم غير كافرين ؟ أمن الحزم أن يبحث الإنسان فى الجوهر والعرض ، ولا يبحث فى الكتاب والسنة ليستفيد علماً خيراً من هذا نافعاً فى كل وقت ؟ . . . إن الجوهر والعرض أصبحا فى نسيان بجانب الكهرباء وغيرها مما عرف اليوم ، فهل أخذوا فى معرفة ذلك حتى يفيدهم فى الكلام ما أفادهم ذاك ؟ حاش لله أن يأخذوا !

إن كانت معرفة ذلك نافعة فى علم الكلام ولها دخل فى منازع الاعتقاد ، ولا إخال ذلك صحيحاً ، فليصرف الحاكم أو جماعة المسلمين طائفة من الناس لدراسته ليقوموا بهذا العبء ، ولا يتركوا طلاب العلم فى شقاء وبلاء ، ولا فائدة لهم تعود إلا استهزاء الناس بهم والحط من شأنهم » .

وبعد ! فهذا كلام لا يحسن كثير من الناس أن يقولوا مثله ، وهذا رأى يعزّ على الكثيرين فى سداده وصراحته ، فلنجعله خاتمة الحديث اليوم .

مكتبتنا العربية

شعراء الأزهر

محمد الأسمر — شاعر الازهر

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

الأستاذ بكلية اللغة العربية

— ٥ —

قطعت هذه السلسلة ، التى كنت أوافى بها مجلة الأزهر ، منذ حين ، لأننى إنسان فى طبيعته العزوف عن الزحام ، ولو أنه على الحياة : وما أشد الزحام على مجلة الأزهر ! ولو أخذ برأيى ، لاقترحت أن يكون التحرير فيها هوى ، لا كسبا ؛ إذن ، لحيئت ، وازدهرت ، ونفضت أكلافها ، التى يُعنىّ أولياءُ الأمور فى الأزهر الطبُّ لها ، على غير جدوى ، مهما أخلص الأساة ، واجتهد المعالجون .

بيد أن كثيراً ممن يتلقون كتابتى بشىء من القبول ، أطالوا ملامى على هذا الانقطاع ، وزينوا لى مراجعة الكتابة فى المجلة ، وفى هذه السلسلة : ثم ألزمنى ذلك إلزاما لا فكاك منه : رغبةُ الأستاذ العلامة مدير المجلة ، فى مواصلتها : ورغبتُه أمر وتشريف وتكريم ، ولا يأبى الكرامة إلا لئيم .

رجع ما انقطع .

* * *

كما يغرد البلبل خلقة وطبعا ، وكما تسجع الحمامة خلقة وطبعا ، وكما تأرجُ الزهرة خلقة وطبعا ؛ يشعر محمد الأسمر خلقة وطبعا ؛ فهو شاعر مطبوع ، موهوب ، قوىّ الموهبة الشعرية قوة طاغية ؛ يعترف بذلك من يبغض الأسمر ، كما يعترف به من يحبه ، ممن تمرسوا بالشعر ، وتذوقوه ، وعالجوه ، إنشاء ونقدا ؛ وليس فى هذه

مكتبتنا العربية

الشهادة إسراف : فان الموهبة شيء غير الشعر ، وإن كانت معينة وفياضة ، فللنقاد أن يذهبوا فى الحكم على شعر الأسمر ، كل مذهب ؛ كما لهم أن يذهبوا فى الحكم على كل شاعر غير الأسمر كل مذهب ، ولكن ليس لناقد أن ينكر أن الأسمر شاعر موهوب ، إلا إذا أدخل التكلف على نفسه ، واصطنعه اصطناعا .

وقد أقام الأسمر على ذلك ، البرهان الذى لا يخامره ريب : بإحرازه التفوق فى المباريات الأدبية غير مرة ، على حين أسف فحول الشعراء ؛ وبإجازة ديوانه من لجنة الخالدين ، رجال مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، على حين بهرجت دواوين شعراء تحتك أنوفهم بالسماء تعالياً وزهواً وادعاء ؛ هذا مع أن الأسمر — كما عرفه الناس — رجل ملول ، فنان ؛ لا يطيق الكد ولا الجد فى طلب العلم ؛ ولا يصبر على معاناة الدرس والبحث ، ولا يحتمل السهر إلا فى بيت يبنيه ، أو قصيد ينشيه ؛ فهو شاعر شيطانى ، تسعة أعشار شعره من وحى الشياطين ؛ وهل يأتى هذا إلا من قوة الطبع ، وغزارة الموهبة ؟

لى صديق من رجالات وزارة المعارف ، كان يتتبع متطوعات الأسمر فى الأهرام ، ثم يتمول لى بعد أن يفرغ من قراءتها : يا أخى ، شعر أسمركم هذا ، يؤكل أكلا ! سبحان الوهاب !

ولفت نظرى مرة كلمة فى جريدة « الاخوان المسلمون » نصها : « هما اثنان فى الأزهر . . . فأما أحدهما فإلتماك ولسان حاله ينشر قول بشار :

إن فى بردىّ جسما ناحلا لو توكأت عليه لانهدم

وأما الأسمر ، فانه يلتماك كأنه قصيدة رائعة تمشى على الأرض ! » ولئن أخطأ صحة « المقارنة » لقد أصاب تشبيه الأسمر : فان جميع مظاهره ومخايله شعر فى شعر اللهم إلا إنشاده ؛ فان أضعف نواحى الأسمر إنشاده ، وبخاصة حين يحتفل ، ويبرز صدره وكرشه ، وتنتفخ أوداجه ، ويخرج الكلام من أسفل بطنه : وهو إذا أرسل نفسه على سجيتها — وقلما يفعل — يعجب ويطرب .

وقد رشح الأسمر لأمارة الشعر ، خالد الذكر ، شاعر القطرين ، خليل مطران ، وناهيك بشهادة شاعر القطرين !

مكتبتنا العربية

وللأسمر شعران : شعر ظاهر ، حواه ديوانه ، ونسب إليه ؛ وشعر خفى ينساب فى جداول كثير من دواوين الشعراء والمتشاعرين ؛ فى كلمات ، أو أشطار ، أو أبيات ، يعرفها أعضاء « مصطبة الشعراء » قديماً ، ويعرفها كثير من يعرفونه حديثاً .

والأسمر بين إخوانه ظريف كل الظريف ؛ وكانت له « قفشات » مع المرحوم أحمد الزين تثير عواصف الضحك تزلزل أركان « النادى » : ينشد الزين شعرا له جديداً ، فيبادره الأسمر ـ فى خبث ـ : « أنت بتكح ليه يا زين ؟ » ويلتفها الزين اللماح ! ويدرك أن الأسمر يريد أن يشبه شعر الزين بنفثات المصدور : فيهتاج الزين ، ويصيح فى الأسمر : يا جاهل ، يا . . . ، يا غبى ! متى ارتقى ذوقك إلى حد أن ينتقد كلام الزين . . . ويخرج الأسمر بالصمت عن لا ، ونعم ، عدا نبرات ضحك خفيف ، ضحك من ظفر باصابة شاكلة الرمى ، وفاز بإعجاب السامعين !

وبيت الأسمر العائلى ، بيت علم فى الجملة ، فلئن ضربه أبوه على إغرامه بالشعر ـ على ما روى هو عن نفسه فى فاتحة ديوانه ـ كما ضرب برد ولده بشاراً على الشعر ؛ ودافع الأسمر عن نفسه ، كما دافع بشار عن نفسه ، فدل ذلك على أن والده كان أمياً ؛ لقد روى المغفور له الأستاذ الهراوى : أن الست والدة الأسمر كانت عالمة جليلة ؛ وإن كان الأسمر يقابل رواية الهراوى ، ببسمة مبهمة ، لا تفيد نفياً ولا إثباتاً ؛ ولا تواضعاً ولا إنكاراً .

فأما سنه ، فلا تتجاوز الخامسة والأربعين . . .

وأما حظه فى الحياة ، فأنه حظ كان يكفى لصلاح حاله ، لولا هذا التاج الخيالى ، الذى امتحن أكثر الشعراء ، بأن يضيعوه على رءوسهم ، وإن كانت خاوية قرعاء .

وفى الأسمر وفاء ، يحمله على أن يكون الاعتراف بالجميل أعذب أحاديثه وأسماره ؛ وفيه إباء ، يجعله يأبى الضيم ، ويذكر السيئة ، ويثور للعدوان ؛ بيد أنه ليس هجاء ، ولا خبيث اللسان ؛ وإنما يلقى خصمه وجاها ، كما يلقى الشجاع الشجاع ، لا كما يلقى الشاعر الشاعر ؛ وعلى الجملة ؛ فنواحى الفضل فى الأسمر متعددة ، وخلال

مكتبتنا العربية

الرجولة فيه متوافرة ؛ وإن قالوا فيه هنات ، وله خطايا ؛ فمن منا ليس له هنات ، ومن منا ليس ذا خطايا ؟ !

* * *

وإذا كان الحديث عن الأسمر ، لا يكمل إلا بذكر شيء من أشعاره ، شاهدا على ما أوردنا من أحكام ؛ فاسمعه ، حين يذكر المظاهرات الدامية لطلبة المدارس وطالباتها ، وانظر عن أية عاطفة شاعرة يصدر :

ملاحم بالغـــداة وبالعشى رعاك الله من شعب أبى !
مشى للحق أعزل ، غير صوت يردده ، كزمجرة الأتى
فوا أسفا عليه ، وهـو يمضى شهيدا بالرصاص وبالعصى
رماه الظالمون وما رماهم فويل للضعيف من القوى
سلوه بعد ما ارتشف المنـايا أيشعر فى مراقـده برى ؟
وليس بظامىء أبدا شهيد سقى الأوطان من دمه الزكى

* * *

واقرأ فى قصيدته « عودة المجاهدين » قوله :

تبينت أن الحق إن لم تتح له بواسل يخشى ظلمها فهو باطـل
لعمرك لو أغنى عن الحق أنه هو الحق ، ما قام النبى يقاتل
فـلا تحسبن الحق ينهض وحده إذا ملت عنه ، فهو لا شك مائل
من العقل ألا يطلب الحق عاجز فليس على وجه البسيطة عادل
وما « سيشل » عندى التى كنتم بها ولكنما دار الأذلاء « سيشل »

ثم أخبرنى عن أثر هذه الحكم الروائع فى مشاعرك وأحاسيسك !

أو لا تحس نفحة من نفحات البهاء زهـير ، حينما تقرأ للشاعر الأسمر ، قوله للمغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، شيخ الأزهر الأسبق :

يا أخا الزهـــر منظرا وأخا الزهـــر مخبرا
قلت يوما لصاحبى فى حـــديث لنا جرى
إنمـا الشيخ مصطفى وردة نفحها سرى

مكتبتنا العربية

ذاك رأيي الذى أرى يا صديقى فما ترى ؟
قال : بل فوق ما أرى قلت : بل فوق ما ترى !

ولم أحسد الأسمر على قصيدة ، حسدى له على نبويته الرائعة ، التى لا أعلم أن شاعرا — غير شوقى — وفق إلى مثلها ، فى العصر الحديث ، وأى حسن وراء قوله فيها :

إن الرسول محمدا صبح بدا من راح يعثر فى سناه ، فلالعا !
وافى بها بيضاء ، عدل كلها لا تلفين بها الضعيف مضيعا
دخلت على الجبروت ، وهو مقطب صافا ، فأبصر وجهها فتفزعا
دين المساواة الصحيحة دينه يرعاهم فى الله أشفق من رعى
ما جر أثواب الحرير ولا مشى بالتاج من فوق الجبين مرصعا
من ألبس الدنيا السعادة حلة فضفاضة ، لبس القميص مرقعا
وهو الذى لو شاء نالت كفه كل الذى فوق البسيطة أجمعا
مسك به اختتم المهيمن رسله وأبان أمر الدين والدنيا معاً

* * *

أما بعد ، فإن وجوه الجمال الفنى فى شعر الأسمر ، تستطيع أن تعدّد منها ، ولن تستطيع أن تعدها : فلأجتزىء بهذا التمثيل المجمل ، وأحيل القراء الكرام ، على « ديوان الأسمر » الذى طبع حديثا ، فان فيه الكثير الطيب ، والمعجب المطرب ، والبديع الطريف : وجمال المنظر والمخبر . وليس هذا إعلانا عن الديوان ، فأنه — صنع الله له ما كان يدعو له به صديقه المرحوم الهراوى — لم يهد إلىّ نسخة منه ، وإنما رأيته فى يد بعض من أهدى إليهم ، ممن يستأثرون بحبه وإيثاره ، ولعله — إذا قرأ هذه الكلمة — يتلوم ، فيتكرم ، ولو تطبعا . . .

أيها الأدباء ، أيها العلماء :

عليكم بديوان الأسمر ، فأنه ديوان الأزهر . . .

مكتبتنا العربية

المبشرون بالإسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

ربما راع القارىء الكريم أن أجعل هذه الكلمة عنواناً لمقال تنشره مجلة رسمية تعنى باصدارها « مشيخة الأزهر » لتكون لسان صدق لها فى العالم العربى وغير العربى ممن يشهدون أن الإسلام لم يعد بحاجة إلى من يحمل للناس دعايته ، ويرفع رايته ، ويغزو به نفوساً انغمست فى زهرة الدنيا ، فلم تلتفت إلى تشريعاته وأحكامه ، ولم تؤمن بضرورة وجوده كنظام لابد منه لحياة هادئة هانئة تنشدها العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، والطبائع الوثابة إلى سعادة صحيحة ، وطمأنينة دائمة ، وبلهنية معقولة .

ونحن نكذب أنفسنا ، ونغالط ضمائرنا ، حين ندّعى أن الدين يشق — وحده — الطريق إلى القلوب ، دون تبشير به ، وأذان بصوته ، وإيقاظ لتلك البصائر التى ضلت وجهته ، وتنكبت سبيله ، وراحت تتلمس النور من غير سراجه ، وإلا لما صحت كلمة الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم إذ يقول عن الخلف العدول من أبناء تلك الأمة ، أنهم يحملونه إلى المسترشدين « ينفون عنه زيغ المبطلين ، وتحريف الجاهلين » . ولما لاقى الرسول وهو بصدد تبليغه هذا الصنف المرهق ، والجهد الشاق ، والإيلام الصارخ ، والإيذاء المضنى .

وكان من حق أصحابه من بعده أن يناموا نومة أهل الكهف عن الجهاد له ، والذود عن حرماته ، والغضب للعدوان عليه ، مع أنهم عاشوا وماتوا لدعم أركانه ورفع بنيانه ، وإعلاء كلمته ، والتنويه بشأنه فى الآصقاع والبقاع إلى درجة أنهم لم يتركوا أعداءه « حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون » .

مكتبتنا العربية

وإذا كانت « الإرساليات » الأجنبية وقفت سبحها زمناً طويلا لمحاربته ، والغض من قيمته ، والتنديد بأتباعه ، تنديداً ينطوى على الكيد والبغضاء ، فانها ربما ضاعفت من نشاطها ، وبالغت فى عدوانها من جديد ، ولا سيما حينما تتجه الاتجاه الصحيح لطمس معالم الشيوعية وغيرها من المذاهب التى تقف بينهم وبين ما يهدفون إليه من مطامع ، ويطمحون له من نفوذ وسلطان ، لأنهم يعلمون تمام العلم أن للقرآن سحراً أخاذاً ، سوف لايذكر أحد معه شيئاً من تلك الشرائع ، ولاهاتيك المعتقدات ، إلى جانب أن دستوره فى العمران والإصلاح ، والسيادة والملك ، قد لا يتلاقى مع هذه كلها فى قليل ولا كثير ، لأنه اشتراكية محمودة ، تكفل الحيازة المعتولة ، والإنتاج المنظم ، والتعاون العام للفرد والجماعة ، بحيث يكون الشعب جميعه متمتعاً بالحرية وفق القانون ، مترابطاً فى حدود الشعور بالحياة المثالية المنشودة ، والعربى والعجمى ، والأبيض والأسود ، والغنى والفقير ، فى كل ذلك سواء .

ولا ينكر عاقل أن المسلمين — جميعاً — يعيشون الآن بعاطفة « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل » مع أن تعاليم كتابهم تحتم عليهم ما يتصل بالجماعة أكثر مما يتصل بالواحد ، وتشدد النكير على المتهاون فى حقوق الإنسانية العامة أكثر من أى تهاون آخر .

وأبو بكر رضى الله عنه لما كان يشيع أسامة بن زيد على رأس الجيش المحارب ماشياً على رجليه وأقسم عليه أسامه أن يركب فأبى قائلا له « وماذا على أن تغبر قدمى ساعة فى سبيل الله » كان يعلم مدى ما يستأهله المسلم من رضوان إذا نصب نفسه لإعلاء كلمة رب العالمين جل جلاله .

إلا أن أمرا يجب علينا ألا نغفله ذلك أن تلك الرسالة النبيلة ، رسالة « التبشير بالاسلام » والدعاية له ، لا يقترن التوفيق بالمتحملين لها دائماً أبداً ، وعلى طول الخط — كما يقولون — لأن أصحابها ورثة الأنبياء يجب عليهم أن يوطنوا أنفسهم على أنهم سيلاقون مثل ما لقوا ، فى صبر الدارعين ، وحلم المؤمنين وصفح المتأدبين ، وعفو القادرين ، وكياسة العاقلين ، واحتيال الماهرين ، الذين نلحظ فيهم الحذق وحسن التأنى للأشياء .

مكتبتنا العربية

على أننا وقد أصبحنا نرى الكرة الارضية تموج بالنظريات والفلسفة ، والعلوم والفنون ، والمذاهب والاتجاهات ، نقول إن العلم بالكتاب والسنة ، وفقه معناهما لا يكفى فى الإقناع ، ولا يصح الاقتصار عليه فى الوعظ — والمسلمون الذين درسوا المنطق اليونانى ، والعلوم الفارسية ، فى الدولة العباسية ، وجعلوا من ذلك كله لقاحا سائغا فى أدبهم وتفكيرهم وتآليفهم ، فاستفادوا منهم جم الفوائد ، لا يزالون بحاجة إلى أن يجاروا ركب الزمن ، وقافلة الايام ، ليعلموا ما تنطوى عليه الآفاق البعيدة ، والبوادى المجهولة ، لان الله سبحانه وتعالى لم يخلقهم لوطن ، ولم يرد منهم أن يموتوا بأرض ، ولا أن يعكفوا على بيئة واحدة — وهنالك ناحية مهمة يجب أن نهيىء لها أنفسنا ، ونحسب لها الحساب العظيم .. وهذه هى حسن عرضنا للمسائل ، ليستطيع الآخذون عنا أن يستسيغوها ، وألا يتهمونا بالجهل ، ويتهموا ديننا بالعقم ، ويظنوا بنا ظنون السوء ، ولست أتعرض لنماذج من قضايانا المغلقة التى ننقلها من الكتب كما هى بدون تصرف وأكتفى بمجرد الإشارة ، وأرجو من الله التوفيق .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أمثال سائرة

لابن عبد ربه مؤلف : العقد الفريد ، شعر جيد منه ما جعل فى كل بيت منه مثلا أو مثلين . مثل قوله :

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم ... هل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وإن أبدى معاتبة ... فأطيب العيش وصل بين إلفين
فاقطع حبائل خل لا تلائمه ... فربما ضاقت الدنيا باثنين
فكرت فيك أبحر أنت أم قمر ... فقد تحير فكرى بين هذين
إن قلت بحراً وجدت البحر منحسراً ... وبحر جودك ممتد العبابين
أو قلت بدراً رأيت البدر منتقصا ... فقلت شتان ما بين اليزيدين

مكتبتنا العربية

العلم والعمل

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى
المفتش بالأزهر

أما أن العلم فى ذاته لا يستتبع العمل فذلك أمر مشهود جاء فى الشاهد والغائب وهو مما استفاضت به الأخبار ، وطفحت به الآداب والأشعار ، وهو شىء لا يأباه العقل والمنطق السليم ، فان العلم إنما يرفع ضده وهو الجهل ، ولا يرفع ضلالا ولا طغيانا ولا مأثما ، فما أكثر مآثم العالمين ، ومفاسد الثرثارين والمتفيهقين ، وإنما كان الشأن فى العلم أن يتطلب العمل من قبل أن العاقل من حتمه إذا علم النفع فى شىء حرص عليه ، وإذا رأى الضرر فى شىء ، فرّ منه تمشيا مع غريزة الحرص على جلب المنافع للنفس بقدر الطاقة البشرية ، فاذا حمق العالم أو أخطأه التوفيق خلط فى سيره وعرض نفسه لكل ما فيه عليه مقال ، نسأل الله السلامة والعصمة .

وفى الحق أن العلم كالماء ، يتلون بلون الإناء ويتبع المتصف به ، والله سبحانه قسم بين الناس العلم كما قسم الرزق ، ولكن عباده يتفاوتون فى تقدير العلم والانتفاع به ، كما يتفاوتون فى تقدير المال ووضعه فى مواضعه ، ولذلك قرنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف الذى يرويه البخارى .

« لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس .

وفى حديث البخارى أيضا ، يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعلمين أصنافا ، فقد شبه ما بعثه الله من الهدى والعلم بالغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب ، فأكل الناس وشربوا وملئوا أستيتهم وكان منها أرض أمسكت الماء للوارد والمستق .

وكان منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فأهل العلم منهم النافع والمنتفع

مكتبتنا العربية

كالأرض الطيبة المنبته ومنهم النافع غير المنتفع وهو الذى يعلم الخير ولايعمل به ومنهم من لاينفع ولا ينتفع كالقيعان .

ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم إنما أنا قاسم والله المعطى فاذا وصل العلم والمعرفة إلى نفسى أفادت منها بقدر عنصرها واستعدادها واتجهت بها مع ظروفها وملابساتها ولهذا يصرف كثير من الناس العلم عن اتجاهه ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ويؤولون آيات الكتاب بما يوافق أهواءهم يزعمون فى أنفسهم أنهم لا يريدون أن يقطعوا علاقتهم بالعلم ونسبتهم اليه وفى الحق لقد أوجد هؤلاء بينهم وبين العلم أكبر جفوة لأنهم فسروه على عكس اتجاهه والعلم لا يقبل ذلك لأنه نور فضاح يكشف كل من قرب منه وحام حول ضيائه وفى الحق أيضاً أن كل علم لا يوجه وجهته ففيه شائبة الجهل على أى اعتبار وفى أى وضع . قال بعض السلف ما عصى الله إلا جاهل وقرأ الآية الكريمة (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) وفى حديث شريف لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا بل إن فى بعض الآثار ما يدل على أن بعض المعاصى يرفع الإيمان وقت التلبس به ففى الحديث « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن الخ » ولهذا أكثر الناس من سلب الوصف عمن أنصف به إذا لم يحقق ثمرته المقصودة ولذلك عندى وجهان من التأويل .

أحدهما أن المراد نفى الانتفاع فكأن هذا الشيء الموجود فى ذاته مفقود لأنه لم يحقق الغاية .

(الثانى) أنه ناقص من بعض نواحيه لأنه لم يحقق الغاية ولو كان كاملا لحقق الغاية ولذلك تقسم المعارف فى بعض الاصطلاحات الى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ولهذا كان العلم مقولا بالتشكيك عند التحقيق .

ومهما يكن من شيء فان العلم فى ذاته لا يستلزم العمل ولا يقتضيه ولهذا أيضا تفاوتت أقدار العلماء فعالم فى السماك وهو الذى يشبه أنبياء بنى إسرائيل يعلم الحكمة ويعلمها ويكون كالأرض الطيبة التى تنبت الطيب وتفيد الطيب النافع المصلح .

وعالم آخر فى الحضيض تلعنه الملائكة والأنس والجن ممن قال فيهم الرسول

مكتبتنا العربية

صلوات الله وسلامه عليه « يؤتى بالعالم يوم القيامة فتندلق أقتابه فى جهنم فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون مالك وقد كنت تأمرنا بالخير وتنهانا عن الشر الحديث » وهؤلاء هم الذين يشترون الضلالة ولا يبالون ما فعلوا .

ولذلك فاننا ننبه أهل العلم ومن آتاهم الله الكتاب والحكمة وخصهم بمزية العلم الذى يرفع المملوك الى مجالس الملوك ويجعل صاحبه فى لذة لو عرفها الملوك لتماتلوه عليها ، هذا العالم الكريم ينبغى أن يحفظ علمه وكرامته وأن يحصن دينه وسمعته وأن يعز نفسه باعزازه وأن يكرر النظر فى مثل كلام الماضى الجرجانى الذى يقول فيه .

يقولون لى فيك إنقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أأشقى به غرسا وأجنية ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

يريد الوضع الطبيعى من رجل العلم أن يكون أسوة حسنة وقدوة صالحة يستفيد الناس من عمله مثل ما يستفيدون من علمه أو ما يغنى عن الاستفادة بعلمه وفى الواقع إنه مسئول بما يصدر منه عن الناس كما أنه مسئول عن نفسه ولهذا قالوا « اذا زل العالم زل العالم » ، « وصنفان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس الأمراء والعلماء » .

يريد الوضع السليم من رجل العلم ألا يحرم نفسه من ثمرة هذا النور الكريم والإشراق السماوى العظيم فما أشد خسارة من يرى الضياء ولا يبصر فيه وما أسوأ حرمان من حرم التوفيق لما هو أقرب شىء إليه ومن أضل ممن ضل على علم وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة .

يريد الوضع السليم من رجل العلم ألا يحرم الكياسة إلى حد أن يهمل عمل الخير وقد تعلم ما يتنافس الناس فى نيله ليصلوا إلى ذلك الخير . هذا والله حماقة تنادى على صاحبها بالثبور والويل « ويل لمن لا يعلم مرة ، وويل لمن يعلم ثم لا يعمل ألف مرة » . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا .

مكتبتنا العربية

إذا كان الناس يعظمون العلماء ويحسدونهم على ما هم فيه من الفضل العظيم وإذا كان الله سبحانه يرفع الذين أوتوا العلم درجات ، فذلك لأنهم يستطيعون أن يفعلوا الخير ويكونوا رحمة للإنسانية ومرهما لجراحها وطباً لأمراضها . ولأن المفهوم فى أمثال العلماء أنهم أمنوا العثار والزلل فى القول والعمل . ومن لم يكن كذلك فقد نزل عن رتبة الفضل والتقدير . ووقع فى حفرة التحقير .

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب . ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام » .

« لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » .

العلم فى ذاته فضيلة لأنه يزيل رذيلة الجهل . والجهل ظلمة والعلم نور . والجهل عمى والعلم بصر والجهل موت والعلم حياة « أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

العلم فضيلة جليلة . مافى ذلك ريب ولا مرية ، ولكن فضل تلك الفضيلة فى استغلالها والانتفاع بها ، فعلى قدر نفاستها تكون نفاسة ما تزدى إليه .

وبمقدار قيمتها كانت خسارة من لم ينتفع بها وآثامه وحسابه العسير .

ومن حق العلم على صاحبه أن يشعر الناس بمنزلة العلم الذى يحمله ، وذلك بتلبية داعيه الكريم ، والعمل بما يقضى به فى جميع الشئون وإلا استهان الناس بذلك العلم وحامله ونسبوه إلى الحمق أو الجنون ، ووضعوا نصحه وتوجيهه موضع سقط المتاع ومالا وزن له وتأمل فيما يقول الله سبحانه :

« كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » . « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

وبعد فما ظنك بشمعة تضىء للناس وتحرق نفسها ، وطبيب يداوى وهو سقيم أيأمنه الناس على شىء .

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو سقيم

مكتبتنا العربية

على هامش المولد والهجرة

لحضرة الأستاذ الشيخ محمود جميل
المدرس في كلية اللغة العربية

اتجه الرسول الكريم نحو مكة ، وهو يعلم أنها كارهة للقائه وصادفة عنه ومعادية لدعوته : وتجربة الطائف لم تكن مشجعة له على التنقل بين أحياء العرب ولا على التردد بين قبائلها . فالثقة بقريش لا زالت تملأ نفوس الكثرة العربية وقريش واقفة له بالمرصاد مهونة لشأنه محقرة لأمره ترد قوله وتصد الناس عن متابعته . وما تقول الناس في رجل عاداه أهله وخذله قومه وعشيرته لقد استضعف من مكان قوته وروع من مكان أمنه وانتقص من مكان كماله فأنّى للناس أن تجيبه أو تجاريه أو تهادنه أو تواسيه .

إذن لا بد أن يرد بصره الكليل نحو القرية التي أخرجته والبلد الذي خذلته فإن ماضيه بها يهون على نفسه ظلم سكانها وألم المقام فيها . فأهلها أعلم به وإن كرهوه وأعرف بمكانته وإن أنكروه .

وقصد إلى مكة وهو شائع النفس محزون القلب منهوك القوى يجر رجلين لا تحملانه مصطحبا معه الحق المظلوم والقضية المضطهدة موقنا بالفتح مؤمنا بالنصر وسفهاء الطائف يقفون له سماطين يشيعونه بما يشيع به أهل البغي والعدوان والضلال والفساد : ولو أنصفوه من أنفسهم لاحسنوا استقباله وأكرموا وفادته وودعوه وداع المحسن لشعبه المنقذ لأمته فقد جاءهم بالمجد الخالد والسيادة العامة والهدى والإصلاح والنور والعلم رجاء أن يقرب بهم بين الارض والسماء .

ويتصور الرسول الكريم موقفه من أهل الطائف ويذكر ضعفه وهوانه فيناجي مولاه « يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي

مكتبتنا العربية

غير أن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علىَّ غضبك أو ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وفى مرجعه نزل بنخلة وهى محلة تمام بقربها سوق عكاظ ، المعروفة فى حياة العرب والأدب العربى ، وقام يصلى من الليل والصلاة قرة عينه وحبيبة نفسه ، والليل أنس المحبين وعرس الواصلين ومقام الحامدين وبينا هو فى موقفه صرف الله إليه « نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين » .

وكان ذلك عن غير شعور منه ولا ترقب عنده وهل يطمع الرسول الكريم فى هداية هذا الجنس النافر المستخفى وقد استعصى عليه تذليل جنسه وتهذيب قومه ؟ ولكن الله قد جعل منه هادياً نافذاً فى الطبائع ومؤثراً فى الجبلات وجعل فى رسالته قوة تخترق الحجب فيستجيب لها كل سميع ويؤمن بها كل حى فهى رسالة تدعو لنفسها وتشع من جوانبها وإذا وصلت إلى القلب أبت أن تستقل به وتقفل عليه وإنما تخرج به داعية إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

وأظهر الله رسوله على أمر الجن نحوه ، طمأنة لقلبه وترضية لنفسه ، والجن خلق آخر استتروا وراء لطافتهم واختفوا تبعاً لطبيعتهم كما ظهر الإنسان أثراً لكثافته ، خلقهم الله من نار كما خلق الإنسان من طين ، وفى النار لطافة وحرارة ونور ، وفى الطين كثافة وغلظ وعتامة ، ولكن المبدع المختار يرفع ويضع لا معقب لحكمه فرفع الكثيف على اللطيف وقال اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين » معتذراً بأنه من نار وآدم من طين ونسى أنه فى حضرة ربه عبد مقهور ومخلوق مغلوب ، وجره كبره وغروره إلى الخروج من دار الحبور إلى دار الشرور ، ومن جنة وسعته إلى أرض لفظته .

مكتبتنا العربية

والجن طرائق منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وفى طبعهم النفور وفى خلقهم الغرور ، وقد استمعوا لدعوة محمـــد صلوات الله عليه وانصتوا للقرآن فلانت طباعهم للحق وجعلوا من أنفسهم دعاة للهدى وأنصاراً للدعوة ورسلا على الرسول يدعون لله ويصدقون بكتاب الله وينذرون بالعـذاب من لا يجب داعى الله ويبشرون بالجنة من آمن بالله . وهذا أكرام من كريم وتقدير من حكيم رفّه الله به عن مصطفاه وخفف عن مجتباه فأراه قوة دعوته وقدر رسالته وكيف أنها تذلل من الطباع النافرة وتقود النفوس المارقة وتجتذب لرحابها جبلة كان منها من عصى ربه تكبرا على البشرية واحتقارا للآدمية .

لقد سمعت الجن واستجابت وأذعنت وآمنت ودعت قومها للهدى فكان ذلك تسلية مجزئة وترضية مقنعة بأن خلالها أن حجود القرشيين وأهل الطائف بالدين لم يكن لتقصير فى التبليغ ولا لوهن فى الدعوة ولا لقصور فى الحق وإنما كان عن حسد ملأ النفوس وحقد أكل الصدور ، فكفروا بعربى بعث من صميمهم وأرسل فيهم وأعزهم وعز عليه عنادهم وأحبهم وكره مخالفتهم ولم يدر أولئك أنه جاء بسعادتهم وسلطانهم .

وأقام بنخلة أياما يشكر ويفكر ويجمع نفسه لمواجهة قريش ويرى زيد بن ما يعانيه الرسول فيشفق على موقفه ويخشى عليه أن يتعرض لخطر يواجهه أو ظلم يستقبله فيقول كيف تدخل على قومك وقد أجرجوك ؟ فيجيبه مطمئنا مبشراً « إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه » .

وانتهى إلى مكة ووقف بالحق على أبوابها ودار بخلده ما سيلقاه من قريش بعد أن رفض أهل الطائف متابعته ، والطائفيون والمكيون متنافسون فى الشرف متعادون فى الرياسة لكنهم متفقون على نصرة باطلهم وخذلان حقه ، ولا مناص له من دخول مكة مهما كلف من عنت وأرهاق فتصريف أمور رسالته يحمله مضطراً على جعلها دارا لإقامته ومركزاً لقيادته إلى أن يهىء الله له دارا تحبه ويحبها يأوى إليها فتؤويه ويستنصر بها فتنصره . والقوم لا يرضون دخوله ولا يمكنونه ولا يقرون إقامته بينهم وهو باق على عهده متمسك بأمره وقد مات أبو طالب فقل به النصير .

مكتبتنا العربية

واستعرض رجال قريش فى لحظة يسيرة إلى أن وقف نظره عند المطعم بن عدى فان له معه لحمة وماضيا يطمعان فى نصرته ومؤازرته ، وأرسل إلى مطعم رجلا من خزاعة ليخبره بخبره . فلما علم مطعم خرج إلى الرسول واستقبله بعد أن دعا بنيه أن يحملوا السلاح ويقفوا عند أركان البيت ، ودخل رسول الله فى صحبة مطعم ومعهما زيد بن حارثة حتى وصل المسجد الحرام وانتهى إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته ومطعم وولده محدقون بالسلاح .

وأصرت قريش على عنادها وأمعنت فى إيذائه والكيد له ، وعرضت عليه ألوانا متفرقة من العذاب ، قصدا لصده عن غايته ، فمن أشواك توضع فى طريقه إلى فضلات توضع على رأسه الكريم وهو قائم لربه إلى غير ذلك من صنوف الإيلام وضروب الاستخفاف ، وهو محتسب صابر يعتذر لهم عند ربه ويطلب لهم الهداية فيقول : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .

وضاقت مكة بالحق وأوصدت أبوابها دون ذلك النور ، واختلطت قلوبها بصخورها فلا سمع ولا استجابة ولا ارتداع ولا اتباع ، بل استحبوا العمى على الهدى ، وطاردوا الحق فى كل مكان ، ومدوا أفواههم ليطفئوا مشعل الدين ، « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون » وبقى الرسول فى مركز قيادته يتردد حول مكة فى المجامع والأسواق ، عله يجد من الوافدين من يصدق بدعوته ويؤمن برسالته ، وكان يتم له قصده لولا مطاردة قريش له بنقد ما يبرم وإفساد ما يصلح ، وتحرج أمر الرسول فى قومه وتلفت فيمن حوله فلم يجد فيهم رجاءً فى النصرة ولا أملا فى البيعة ، ولولا أن أهل الأوس والخزرج كانوا يعلمون من حلفائهم بيثرب من اليهود أن نبيا من صفته كذا أطل زمانه وجاء أوانه وأن اليهود ستتبعه لتقاتل معه العرب ما أسرعتا فى متابعته والاستماع إليه ، ولكنهم تأملوه فعرفوه ، واتجهوا اليه واستمعوا لحديثه ، ووافى الموسم منهم من آمن بالدعوة وبايع على النصرة ورجع إلى قومه داعيا وهاديا ؟

مكتبتنا العربية

الإسلام يحقق السلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود فياض

أستاذ التاريخ بكلية أصول الدين

شهد العالم قبل الإسلام ويلات وويلات ، وسادته ضلالات أفسدت على العقول اتجاهها إلى السمو وطلب الكمال ، وخضع لاستبداد طاغ فى توجيه أموره ، وكل مقدراته ، لصوالح حكام فى الشرق والغرب ، كل أهداف حكمهم . هى الجلوس فى أبراج السيادة . والإشراف منها على استغلال المحكومين ، وإن شئت قل إن حكام الشرق والغرب قبل الإسلام ، كانوا فى صراع على السيادة فى أرض الله ، ألقوا فيه إلى الجحيم كتلا من المحكومين الذين أهدرت آدميتهم ، فى سبيل شهوات كسرى وقيصر . ولقد غشى العالم فساد عام شامل ، استشرى فى كل ناحية من نواحيه . فى الدين ، فى السياسة . فى الاجتماع ، فى كل شىء .

كذلك شهد العالم قبل الإسلام ألوانا مختلفة من الديانات والتشريعات . السماوية والوضعية شهد اليهودية والنصرانية ، كما عرف الزرادشتية والمزدكية والمانوية والكنفشيوسية ، والبوذية ، ولم يجد العالم فى واحدة من هذه الديانات ، ما يهذب النفس ، أو يرقى بالروح معارج الجمال ، ولا ما ينظم مجتمعا سعيدا يقوم على الحب والسلام .

وجرب العالم منذ القدم تشريعات الفراعنة . وقوانين حمورابى . وجملة تشريعات أخرى إغريقية ، ورومانية ، وفارسية ، ولم يسعد العالم أى حكم قام على هذه التشريعات . إذ لم تنظم مجتمعا ، أو تحقق عدلا . ولم تجلب رخاء ولا أمنا ، بل لم تحفظ حرمة الإنسانية . لانها كانت تسير وفق قاعدة عامة تمثل الشرائع قبل الإسلام هى : من غلب على شىء أكله .

مكتبتنا العربية

عالم عقلى أفسدته الوثنية ، وثنية ألزمت الناس بعبادة الحجر ، أو عبادة الشجر ، أو الحيوان أو البشر ، وديانات عطلت المواهب ، واعتقلت العقول ، وأججت سعير الحروب بين الشعوب . لا طلباً لكمال إنسانى ، ولا تحقيقاً لأخوة أو عدالة . بل لسيادة نوع من صنوف هذه الوثنيات .

وعالم اجتماعى أفسدته الطبقية . فأشراف هم سادة الناس ، وفى أيديهم الجاه والسلطان ، وعندهم ذهب الدنيا الوهاج ، وصنوف من الناس يتفانون فى العبودية والاستغلال ، ويمتعون بالفقر والحرمان . ويكدحون لسادتهم فى سبيل الإبقاء على حق الحياة .

وعادات لا تدرى أهى عادات إنسان أو حيوان . وجاهلية جاهلة ، قضت على التفكير الإنسانى ، فلم يتوجه لخدمة الإنسان ، ولم يسعف البشرية باصلاح ، وهى تلح فى طلب الإصلاح .

وصراع دائم مرير بين الشرق والغرب ، بين الفرس والروم ، على سيادة دنيا الله ، حروب فى إثرها حروب ، وكروب تتبعها كروب ، وغطرسة فى كسرى خربت الشرق . وكبرياء فى قيصر خرب الغرب ، ومن غطرسة كسرى وكبرياء قيصر . يتألف عالم سياسى يقوم على الظلم والفجور ، والإنسانية بين هذه العوالم المخربة المدمرة ، تنادى ربها . وتستغيث باريها ، يارب تدارك عبادك بوسائل الإصلاح :

وأشرقت الأرض بنور ربها ، وانبلج صبح الإصلاح ، وبعث الله محمد بن عبد الله بالإسلام رحمة للعالمين ، ليخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط الله العزيز الحميد .

جاء الإسلام ليصحح الأوضاع السيئة . ويصلح الفساد الذى يعانى العالم من جرائه ويلات الحروب . ويقيم مجتمع الإنسانية على أسس قويمة من العدالة والأخوة والمحبة والسلام .

ولقد بدأ الإسلام باصلاح العقيدة . عقيدة الناس فى رب الناس . فاستهجن الضلالات السائدة . وأنكر أن يكون هناك أدنى تصرف فى أمور الناس . الشىء

مكتبتنا العربية

من اللات والعزى ومناة . ومثيلاتها من أحجار وأصنام . أو لشيء من نيران الفرس أو حيوان غيرهم . أو لشيء مما يعبد اليهود والنصارى .

وقرر أن الخالق واحد من كل وجه ، هو وحده المتصرف فى كل شيء ، وإليه يرجع الأمر فى كل شيء ليس كمثله شيء . من حجر أو شجر ، أو بشر ، كل الكون فى قبضته ، وكل العوالم عبيده ويرجون رحمته . ودعى الإنسان إلى تحرير عقله من قيود الوراثة والوثنية ، فاذا حرر عقله فلينظر فيما يحيط به متأملا فيما خلق الله . وليحكم عقله المتحرر ، فى قضية الألوهية . ولينظر « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ؟ « أفمن يخلق كمن لا يخلق » ؟ « أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون » ؟ « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز » . ولابد أن يصل العقل المتحرر من قيود الوراثة والوثنية فى هذه القضية إلى ما يدعو إليه الإسلام . لا إله إلا الله . فاذا استيقن بها الانسان . تفتحت له آفاق وآفاق . واستقام أمره على وجه من الإصلاح والصلاح لم يعهده من قبل !!!

خالق الكون واحد وهو المتصرف فيه . وهو وحده سيد لما خلق . وكل خلق الله عباد الله ونسبتهم إلى الله واحدة . فهم أحرار . لأن الله وحده هو خالقهم وهم عند الله سواسية لأنهم جميعاً عبيده وهم إخوة لأن ربهم واحد وأباهم واحد وأمهم واحدة خلقوا لغاية واحدة أفضلهم عند الله أحسنهم عملا وأنفعهم للناس « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فلا الأجناس والألوان ولا الأحساب والأنساب ولا الجاه والسلطان والأموال ولا القوميات ولا العنصريات . لا شيء من ذلك كله بمقياس ولا ميزان عند تقدير الصلاحية أو وزن القيم . فالاسلام قومية المسلمين وهو الجنس واللون والحسب والنسب والمسلمون إخوة فى الانسانية وإخوة فى الاسلام ومن واجب الاخوة أن تقوم بينهم المحبة ويسود بينهم السلام

مكتبتنا العربية

ومن واجب الاخوة أن يتعاونوا على البر والتقوى . لا على الإثم والعدوان فاذا تعاونوا على هـذا المنهج فلا بد أن يحلو مشكلة الغنى والفقر كما قضوا على الطبقية الجائرة بتوحيد الله الذى خلقهم أحراراً متساويين ولم يجعل للشرف مقياساً غير حسن العمل ومدى مايحققه الشخص من خدمات ومنافع للمؤمنين وللإنسانية! وإذا كانت نفس الإنسان قد جبلت على الشح فقد أراد الله سبحانه ألا يخضع التعاون على البر واتقاء الشرور لهوى النفس الشحيحة بل نظم هـذا التعاون فى سبيل خير الجميع تنظيما عجبا كان موضع إطراء خصوم الإسلام أنفسهم وجعله إلزاما للأمة متضامنة ولكل فرد بوصفه الخاص . فالأمة متضامنة فى كفالة حياة الفرد حياة حرة كريمة وكل فرد مكلف برعاية مصالح الأمة . فالفرد والجماعة يتبادلان المعونة فى سبيل الخير العام .

للفقير حق معلوم فى مال الغنى ، ومال الغنى هو مال الله استخلفه فى استثماره وتنميته « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » والمؤمن الغنى جواد سمح ، لا يمسك مال الله عن الخير لعباد الله ، والمؤمن الفقير قانع عزيز ، يأخذ حقا جعله الله له فى مال أخيه ، غير ذليل ولا مستذل ، والغنى يعطى ما وجب عليه غير مان ولا متكبر ، وهذا وذاك يقوم بأمر الدين ، ويستجيب لله رب العالمين ، ولقد عين الإسلام مقادير محددة بنسب معينة وبشروط خاصة يدفعها الغنى إلى بيت مال المسلمين ، لتنفق فى سبيل الصالح العام للأمة وسمى هـذا « زكاة » ثم أوجب على الأغنياء بعد ذلك الإنفاق فى سبيل الله ومصالح الأمة ، وترك التعيين والتحديد للمؤمن الغنى ، يقدر ويحدد بنفسه ما يجب عليه ، حسب ما يملى عليه إيمانه ، وحبه لخير المسلمين .

والزكاة ، والانفاق الذى يسمى صدقة ، أريد بهما ، مواجهة حاجة الدولة ، ومقتضيات عملها على توازن القوى فى المجتمع ، حتى لا تتجمع مالية الأمة فى أيد قليلة قد تكون شحيحة ، فتتولد الأحقاد فى النفوس ، ويرجع المجتمع إلى نظام الطبقية الذى قوضه الإسلام بتعاليمه . ثم عاد إلى المجتمع الإسلامى لما تنكب صراط الإسلام كما أريد بهما . تربية النفوس وتمرينها على البذل عند دواعيه .

مكتبتنا العربية

ومقاومة خلق الشح فى نفس الإنسان الذى يدفعه فى كثير من الأحيان إلى هجر الدين والفضائل فى سبيل المال . واتخذ طبق هذا النظام ونجح نجاحا بعيداً فى صدر الإسلام . وقد لفت أنظار الغربيين . فجعلوه أساسا لما ظهر بينهم من نظم تعاونية وجماعية . حتى لتكاد التبرعات عندهم . تفى بحاجات شعوبهم الاجتماعية . وقد تصاب بعض النفوس بخديعة ثقافية . فيختلط عليها الأمر فترى فى هذا النظام استذلالا للفقير . وإهدارا لحرمته . وقد تصاب بلوثة . فترفض ما لا تفهم مما شرع الله . وهيهات أن يستقيم أمر الناس على غير ما شرع الله . ولن تحل مشكلة الفقر حلا جميلا . يحقق سلام المجتمع إلا على أساس ما شرعه العليم بالنفوس البشرية . فأقيموا الدين لله خالصا من شوائب الشهوات . وتجردوا من لوثة الثقافات الخادعة الوافدة . تحل مشاكلكم . ويصلح مجتمعكم .

وإذا أقام الإسلام مجتمعا صالحا على أساس من توحيد الله والاعتراف له وحده بالسيادة . وتقرير الحرية والاخوة والمساواة بين الناس . والتضامن بين الفرد والجماعة فى سبيل الصالح العام للجميع . فأنه يقيم حكم هذا المجتمع على أساس من الشورى الحرة . ويطلب أن يكون الحكم قيادة رشيدة للمحكومين . تسعى إلى تحقيق أكبر قسط من سعادتهم . وتوفر لهم أسباب الحياة الشريفة . وتقيم بينهم العدالة وتسوى بينهم فى توزيع الحقوق والواجبات . ويطلب من الحاكم أن يكون قدوة حسنة لرعيته . فى قوة إيمانه والتزامه لمبادىء الدين . وحبه للخير والإيثار . حتى يحمل بسلوكه المحكومين على الاقتداء به . ويتحقق الانسجام والتوافق والتجاوب بين الحاكم والمحكوم . وطلب من المحكومين أن يطيعوا الحاكم ما استقام على أمر الله . وأخلص فى رعاية مصالح الدولة . فاذا اعوج قوموه بالنصح والإرشاد . وإذا أشكل عليه أمر أرشدوه بالحكمة والموعظة الحسنة إلى وجه الخير فيه . وإذا جار وظلم عالجوه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر . « وهو السلطة الكبرى التى جعلها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم » فاذا لم يرعو لزاجر . ولم يقلع عن الظلم بعد نصحه . فلهم أن يستبدلوا به غيره . وجعل المحكومين مسئولين عن الحاكم وصلاحه . مثل مسئولية الحاكم نفسه عن مصالح المحكومين . وهكذا يخلق الإسلام دولة قوية يركزها على دعائم

مكتبتنا العربية

قوية — اجتماعية وسياسية — تضمن لها العزة والكرامة ما سارت على منهجه الواضح المرسوم .

وإذا أقام الإسلام دولته فانه يجعل أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلام . فحرم على المسلمين أن يعتدوا على غيرهم . ولم يجعل الاختلاف فى الدين مبررا للعدوان . فاذا جنح غير المسلمين إلى السلم فليسالمهم المسلمون . كما نهى المسلمين عن الهجوم على عدوهم الذى استيقنوا من عداوته . وتوقعوا عدوانه . من دون إنذار يرسلونه إلى العدو . بل حتى يصل الإنذار إلى العدو . ثم أنكر الإسلام الحرب لمجرد التوسع والاستعمار أو لهوى النفس . ولم يبحها إلا لحماية الدعوة أو دفع عدوان . فمن اختار البقاء على دينه . وسالم المسلمين . سالمه المسلمون . ومن عاهد المسلمين على الأمان فقد وجب على المسلمين الوفاء بالعهد . ومن عاقدهم على تجارة وفوا له بالعقد . وهكذا فى الجملة يقيم الإسلام العلاقات بين الدولة الإسلامية . وغيرها . على أساس السلام . ويجب أن يكون السلام دائما هو رائد العلاقات الدولية . ولا يقر الإسلام البغى والعدوان فى أى مظهر من مظاهر الحياة للفرد أو الجماعة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإسلام منهج عام للسلام . للسلام الداخلى فى كل أمة . والسلام الدولى بين الدول . ولهذا المنهج تفصيلات كثيرة ودقيقة . أرجو أن يسعدنى الله بفرصة لتجليتها . وبيانها للناس . منهج للسلام يهدى للتى هى أقوم . فلو أنصفت الإنسانية نفسها بالإسلام لاسعدها الإسلام . ولو شاءت الإنسانية الأمن فى مجتمعاتها الداخلية . فعليها بالإسلام .

ولو أرادت السلام العام بين الدول فإن الإسلام هو منهاج السلام . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . » فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا » وستنجلى الغمرة بعد غاشية تغشى الإنسانية — قريبا أو غير قريب — وسينظر العالم حائراً . وسيبحث عن مخلص يخلصه من ضلال العلم والإلحاد فى الله وفساد الدين والسياسة والاجتماع . وستكون حيرته هذه كحيرته الاولى عند ما بحث عن منقذ قبل الإسلام . فكان الإسلام وسوف لا يجد العالم ما يخلصه من كروبه وإلحاده وماديته . ويريحه من ويلات الحروب والخراب والدمار . سوى الإسلام . « ولتعلمن نبأه بعد حين » .

مكتبتنا العربية

فى ميدان علم النفس :

تعريف الحكم

لحضرة الدكتور سعيد زايد

من بين المشاكل العديدة التى تتأرجح بين العلوم المختلفة وبين وجهات النظر المتباينة ، مشكلة الحكم . فهى مشكلة يتجاذبها علم النفس وعلم المنطق كل يريد أن يضمها الى حظيرته ، وكل يريد أن يدرسها بمنهجه الخاص ويعتبرها ضمن أبحاثه الخاصة .

ولذلك لا تأخذنا الدهشة عندما يفاجئنا هولنجورث فى مستهل فصله بعنوان جزئى هو « تعقد المشكلة » يقول فيه إن المحاولات لتعريف طبيعة الحكم وتحديد مكانته فى علم النفس أو المنطق ، قد استنفدت أبحاثا كثيرة ، وقد حددت هذه الأبحاث بدافع الحكم بالنسبة لموضوعات أساسية وأولية فى علم النفس ، ولذلك إذا وصف الحكم بأنه حالة إثبات لعلاقة بين موضوعين أو حدين ، فهذا يتضمن معنى خاصا للأفكار التى تستعمل فى التعريف .

ولكن ما هى حالة الإثبات كحالة مميزة عن بحث مجرد ؟ ما هى طبيعة العلاقة التى يمكن أن توجد فقط فى حضور عضوين أو أكثر ؟ وما هى فى الحقيقة الأعضاء أو الوحدات (المعانى) التى توجد بينها العلاقات ؟ هل تدرك العلاقات بصفة واقعية ؟ هل يمكن تصنيفها بطريقة ما حسب موازين وألوان ونغمات ؟ هل هى أيضا « محتويات الشعور » أم هى فقط « أفعال نسبية » ؟ وهل تتصف بصفات تتعلق بالكيفية والشدة وديمومة الإحساسات ؟ هل هى فى الحقيقة مكتنفة أم هى

( ) ملخص الفصل ١٦ من كتاب Psychology of Thought للدكتور Hollingworth

مكتبتنا العربية

مخترعة فحسب ؟ كل هذه الأسئلة يضعها الكاتب فى إبتداء الفصل وكلها — كما هو واضح — تنطق بتعقد المشكلة .

ولم يكتف الكاتب بهذا بل أراد أن يزيد فى تبيان مقدار التعقد والصعوبة فكتب تحت عنوانه الجزئى الثانى يقول : ويمكن الاعتراض بأن نظرية فى الحكم لا تحتاج ضمنيا إلى أى مؤيدات أوليه ، وبأن طبيعة الحكم يمكن التأكد منها مباشرة خلال التأمل كى تعطينا فكرة عما وجدته فى الوعى أثناء عملية الحكم ، ولكن هناك عدة عوائق هامة من أهمها أنه من المستحيل علينا أن نعطى فى أى وقت تقديراً تاما عما يحدث فى الشعور حتى ولو كان فى بضع ثوان ، وكل ما يستطيعه المتأمل هو أن ينتخب من التجربة الكلية تلك الحوادث التى تبدو له مؤيدة للعملية التى تفيد المجرب فيخبر عنها ويجهل الباقيات ، وإن أفكار الوعى التأمليه التى تحدث أثناء التفكير تبدو فى هذا المجال كأنها فطرية ونادراً ما تبين اختيار حوادث معينة على ضوء نظريات سابقة . فهى فى الغالب لا تخبر عن الأصوات الخارجية وأصوات التنفس وحركات الحجاب الحاجز والنشاط الجثمانى عديم الغاية والحركات المستمرة للسان وإبهامات الأرجل وأصابع اليد . من ذلك يتضح أن الأحكام لا تكون إلا للحوادث التى تحصل بوضوح فى الوعى لا إلى تلك التى تنكشف حينا وتختفى حينا آخر ، وللحوادث الجزئية أكثر من الحوادث الكلية .

ولذلك إما أن تخبر الذات تحت تأثير انتباه اختيارى معين ؛ أو أن من يكتب التقرير يختار لتقريره تعبيرات توافق العملية ، ومن المؤكد أنه لا يمكن لمفهوم ما أن يلخص خصائص العملية التى حدثت تحت أى حالة من الحالتين السابقتين وخاصة بالنسبة إلى وظائف الألفاظ الرمزية . وقد ينشأ اعتراض مهم بالنسبة إلى التجارب الفنية وهو وجوب إلزام الذات بأن تحكم لتمرر أو تخبر عن مجرى الوعى ولكن هذا يتطلب معرفتنا الواضحة لماهية الحكم وإلا كيف يمكننا أن نلزمها بالحكم وكيف نتأكد أنها حكمت ؟ وبعبارة أوضح كيف نجزم بأن ما أخبرت عنه هو بالذات عملية الحكم ؟ وكذلك فى إحدى دراسات الأستاذ مارب فى الحكم المبكر على طريقة التأمل الباطنى يحاول المختبر أن يعرف ما هى التجارب التى يجب أن تتوفر فى عملية الوعى حتى نرفعها إلى درجة الحكم أى نضيع المجرب تحت

مكتبتنا العربية

حالات يمكنه فيها أن يختبر أنواع العمليات العقلية للحكم وحينئذ نسأله أن يبسط لنا التجارب التى حدثت له أثناء تلك العمليات يتضح مما سبق أنه يمكننا — بصفة مؤقته — أن نعرف الحكم بأنه عملية الشعور الذى يمكن أن يحمل عليه فى معنى ما محمولا الصدق أو الكذب .

تعريف مارب :

يبدأ مارب تعريفه بضرب مثال فيقول : إذا كان لدى ثقلان وطلب منى أن أختبر أى الثقلين يبدو أثقل . أفلا يكون إخبارى بتميزهما ، حكما ؟ ولكن على أى أساس يقوم حكمى بالموازنة بين الثقلين وعلى أى حقيقة يقوم ؟ وإذا ما تركت الاختبار جانبا وتقدمت قليلا لأبين مقدار الثقل إما بالكلام أو بالإيماء ، أفلا يمكن أن يقال إن هذا الثقل يتفق أو لا يتفق مع حدث آخر وهو الأثر الحسى الذى أحدثه الثقل بالفعل .

ويستطرد مارب قائلا : وإذا سألتنى مضيفتى مثلا رأيى فى قبعة جديدة وأى الألوان أنسب لها ، فانى سأخبرها طبعا بلون ما . . فعلى أى أساس يقوم هذا الحكم ؟ وبأى مقياس يكون خطأ أو صوابا ؟ إن مضيفتى لا يهمها أن تأخذ رأيى فى اللون الذى أحبه ، بل كل ما يهمها هو أن ترى هل سيتفق تخمينى أنا مع ماستفعل حقيقه أم لا .

وهناك أحكام لا تتفق مع نظرية مارب ، بالرغم من إشارة مسر Messer وإثبات تتشنر Titchener أن النظرية تتفق مع تجارب كثيرة لم تعود أن نعتبرها حكماً كالاستظهار الحقيق لمقاطع عديمة المعنى فى تجارب الذاكرة . وكاستجابة اللاعب (فى صالة الجمنزيم) للتراكيب اللفظية التى يصدرها المدرب .

ويجب أن نلاحظ أن مارب كغيره ممن أتوا بعد سواء بسواء ، لم يكن يبحث عن النموذج الأولى الحقيق الداخلى للأحكام . بل كان يبحث عما يمكن تسميته الظواهر الملازمة أو « التجارب الثانوية » التى يمكن اعتبار وجودها معياراً ثابتاً .

وهذه هى الطريقة التى يتبعها البستانى الذى يفرق بين نوعين من فاكهة معينة باكتشاف نوع الحشرة الضارة التى تعيش باستمرار على كل نوع ... ولكن

مكتبتنا العربية

لماذا نعتمد على الحشرات للتمييز بين نوعى فاكهة ما ؟ ولم لا نبحث الفاكهة ذاتها ؟ فالذى نريده أولا وقبل كل شيء بيانا وافيا يعتمد على الظواهر للحوادث أو التجارب أو العمليات التى تدل عليها لفظة حكم . ومثل هذا التعريف يدخل فى علم النفس أكثر منه فى المنطق وهو ما نريد أن نبحثه هنا .

ولن نحاول هنا أن نزن الآراء التى قيلت بصدد طبيعة الحكم عند مسز . رووِل . بهلر . وغيرهم والتى تنهج منهج الاستبطان ولكنا سنحاول أن نبين الحجج الرئيسية فى عدم كفايتها .

مقاييس الحكم :

من بين المسائل الهامة التى ترتبط بالحكم سنعنى أولا بما يسمى التعبير عن الحكم . ويقصد به إشارات أو ألفاظ تبين محتوياته وتستخدم لأغراض خاصة أهمها انتقال الأفكار والاتصال بالغير . ومما لا شك فيه أن التعبير عن الحكم قضايا تتكون من موضوع ومحمول ورابطة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد قامت مناقشات حول هـــذه المسائل اللغوية مراعاة للغة وأنها مرآة للحوادث الفكرية دون نظر إلى العوامل العرضية والعملية التى تحدد تطورها وتطور الكلام . ولكن اختلاف الطرق التى بها نعبر عن أحكامنا جدير بأن يمنع الخلط بين علم النفس وعلم اللغة . فالحكم كما قال مارب يمكن التعبير عنه بطرق مختلفة كالكلام والإيماء والتوافق العملى وتسلسل الخيال وتغير اتجاه التفكير . ومهما كانت طبيعة التعبير . فليس جزءا جوهرياً من الحكم إلا ما أدركه على أنه حادثة نهائية ترتفع بالحكم ليصبح عملية إغلاق . وعلى ذلك تصبح القضية لا حكما فحسب بل نتيجة له .

وإذا أخذنا الفكرة الأخيرة فجدير بنا أن نبين العمليات المتضمنة فى المواقف العقلية وما يدل عليها يمكن أن نسميها فى مضمونها تفكيرا .

ويمكن الإشارة فى هـــذا الصدد إلى أربعة أضرب هى : « الدالة على » ، « المدلول عليه » ، « المدلل به » ، « الدلالة » ، ويقصد بالأولى ، المنبه أو الرافع

مكتبتنا العربية

أو الباعث أو الإشارة أو التلميح أو ما يقابل فى المنطق الموضوع فى القضية . ويقصد بالثانى ، التجارب الماضية التى يفصلها الباعث السابق الذكر وهو ما يقابل الحد الأوسط فى المنطق . ويقصد بالثالث حقيقة القيام بتنفيذ ما يطلبه العامل ، كنشوء الاستجابة والتوافق والصورة والشعور إلى غير ذلك من الحوادث النفسية التى تعبر أو تشير إلى اتجاه الوظيفة وهو ما يقابل الرابطة المنطقية أو قانون التداعى فى علم النفس . ويقصد بالأخير ، الحادثة النهائية أو التعبير فى ذاته كنتيجة للباعث على ضوء العلاقات الماضية وتقابل فى المنطق ما يسمى بالمحمول .

وواضح أن هذا التفصيل يتفق مع ما قيل عن الحكم فى كتب المعاصرين ولذلك عرض هولنجورث لبعض آرائهم توضيحاً لهـــذا التطابق . فالى اللقاء فى العدد القادم إن شاء الله ؟ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حكم نبوية

لعيسى عليه السلام فى كتبنا حكم كثيرة منها قوله للحواريين :

« اتخذوا المساجد بيوتا والبيوت منازل ، وكلوا بقل البرية ، واشربوا الماء القراح ، وانجوا من الدنيا سالمين » .

وقال عليه السلام : « لا تنظروا فى أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظروا فى أعمالكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية » .

وقال عليه السلام لحواريه : « عجبا لكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل » .

وقال عليه السلام : « ألا أخبركم بخيركم مجالسة ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد فى عملكم منطقه ، ويسوقكم إلى الجنة عمله » .

مكتبتنا العربية

دراسات فى التصوف :

السهروردى المقتول

الأستاذ عمر طلعت زهران
أستاذ فى الآداب

— ٢ —

ومن هنا رأى المتآمرون أن يتجهوا إلى صلاح الدين نفسه ، فأرسلوا إليه مصورين السهروردى فى أقبح صورة ، ناعتيه بأبشع النعوت ، وأوصوه بكل صفة رديئة ، ثم ضربوا وتراً حساساً عند صلاح الدين . فقالوا « أدرك ولدك وإلا تتلف عقيدته » .

وسارع صلاح الدين فأرسل إلى ابنه أن : ابعد عنك الرجل . ولم ينفذ الظاهر وصية أبيه ، لعلمه بسر الأمر .

وهنا انقسم الرأى فى حلب قسمين : قسم يؤيد ، وقسم يناوىء : حماس ونقمة ، رأى الأولون فى السهروردى نبياً من أنبياء الفكر . حكيما قد أوتى كل علم ، ورأى الآخرون فيه ملحداً كافراً ، أقل جزاء له الموت .

ويحدثنا القاضى شداد ، وقد عاصر هذه الحقبة من الزمن ، قال : « أقمت بحلب فرأيت أهلها مختلفين فيه ، منهم من يصدقه ، ومنهم من يزندقه . والله أعلم » .

لم يرض بعض الفقهاء بمسلك الملك الظاهر ، واجتمع منهم اثنان : زين الدين ومجد الدين ابنا حميد . وأثارا ثائرة العلماء ، وجمعوا جموعهم ، وتقدموا إلى الظاهر : أن نفذ وصية أبيك . أن ابعد هذا الزنديق ، وأنقذ الدين من شره وخلص العقائد من خطره . وأحرج الظاهر أمام أبيه وأمام الشعب . فرأى أن يخرج

مكتبتنا العربية

من المأزق بحل وسط هو أن يعقد مناظرة لتسوية الخلاف ؛ فرضى الفقهاء بهذا الحل كما رضى به صلاح الدين .

كان الظاهر واثقا من قدرة السهروردى ومن بلاغته وفصاحة تعبيره ، ولكنه نسى أن السهروردى سيكون متهما فى مجلس قضاته هم أعداؤه . واجتمع المجلس ، وناظر السهروردى فيه وظهر عليهم ، وجاء بعض هذه المناظرة فى الكتب :

« قالوا : انك قلت فى بعض تصانيفك إن الله قادر على أن يخلق نبياً . . وهذا مستحيل .

« قال : وما وجه استحالته ؟ فإن الله القادر هو الذى لا يمتنع عليه شيء » .

ولم يذكر التاريخ هذه المناظرة كاملة ، فقد ضاعت مع ما ضاع من تراث المسلمين وأفكارهم وكتبهم .

وحكم المجلس بإدانة السهروردى ، وبعد مداولة قصيرة حكموا بكفره وجردوه من إيمانه . ثم كتبوا وثيقة كفره ، وأذاعوها سراعا بين الناس . وهكذا نجحت المؤامرة وحكم على السهروردي بالموت . ولم يجد الظاهر بدا من أن ينفذ الحكم فى صديقه ، واحتار القوم كيف يموت السهروردى : هل يمزقونه أم يصلبونه أم يقتلونه ، وكفاهم الملك الظاهر مؤونة التفكير فطلب إلى السهروردى أن يختار ميتته ، فاختارها .

لقد كان ـ حتى فى موته ـ زاهداً متصوفاً ، فاختار أن يحبس فى مكان ، وأن يمنع عنه الطعام والشراب حتى يموت جوعاً . كم من الآلام عانى وهو مضطجع يهرأ الجوع أحشاءه . لقد أراد امتحان قوة صبره ، فكان له ما أراد . أو لعله كان سابحاً فى ملكوت الله ، فانياً فى بحار الحق ، متأملا فى إله الخلق ، فلم يشعر بجوع ولم يعرف العطش .

وثمت روايات أخرى عن موته ، فمن قائل إنه خنق ، ومن قائل إنه صلب ، ولكن الثابت أنه فى يوم جمعة من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، أخرج السهروردى ميتاً من الحبس .

ولم يعدم السهروردى من يدافع عنه ، فترى الشهرزورى صاحب « روضات

مكتبتنا العربية

الجنات » ينعته « بالشيخ المعظم والفيلسوف المكرم العالم الربانى والمتأله الروحانى » . وهو عنده جامع بين الحكمتين الذوقية والبحثية . « كان فى المكاشفات الربانية آية والمشاهدات الروحانية نهاية » .

ويستمر الشهرزورى : وصاحبنا كان الوحيد الذى تيسرت له الحكمتان ، فإنا لنرى البعض ، بل والغالبية العظمى لما يتيسر لها غير أحد الوجهين ، فأبو يزيد ، والحلاج ما تيسر لهم غير الكشف دون البحث ، والكثيرون من الحكماء تيسر لهم البحث دون الكشف .

* * *

مذهب السهروردى :

كنا نود أن نوفى مذهب السهروردى حقه من الكلام ، بعد أن أرخنا له ، ولكن ضيق المجال يضطرنا إلى أن نتحدث عن الخطوط العريضة لهذا المذهب فحسب ، وأن نتناوله تناولا عاماً فنعطى عنه فكرة عابرة .

خلف السهروردى الذى قتل ولما يتجاوز الثامنة والثلاثين من عمره - على أصح الروايات - كتباً عديدة ورسائل كثيرة ، بها حكمة وبها إشراق . ولكنا نجده على العموم ليس صاحب مذهب طريف ، بل إنه قد أخذ التليد من مذاهب السابقين ، وتأثر بالكثيرين ممن سبقوه وعلى الأخص « ابن سينا » ، الذى يحاكى مذهبه فى النفس محاكاة يكاد يذهب فيها إلى نفس كلمات الشيخ الرئيس فى قصيدته العينية :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

حاكاها بقصيدته التى يبدؤها :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لمغناها القديم نشوقاً

كان السهروردى متديناً ، ولكن اعتقاده لم يكن اعتقاد العوام ، بل خاصة الخواص . يقول فى آخر المطارحات » : « هو ذا قد بلغ سنى إلى قريب من ثلاثين سنة ، وأكثر عمرى فى الأسفار والاستخبار ، والتفحص عن مشارك مطلع العلوم ، ولم أجد من عنده خبر عن العلوم الشريفة ، ولا من يؤمن بها » .

مكتبتنا العربية

أما قصيدته المشهورة التى يتغنى بها المتصوفون ، فوصف حالة من حالات تجرده ، وإظهار لحبة ولسكره ولشوقه :

أبدا تحن إليكم الأرواح ووصا لكم ريحانها والراح
وأحسرتا للعاشقين تحملوا ثقل المحبة والهوى فضاح

وهو يخاف أن يبوح بسره فإنهم :

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

ولكن :

إذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السحاح

إنه حبيب برح به الشوق ، وطوح العشق ، ليس له صبر على البعاد ، يتوسل يرجو اللقاء :

جودوا على مسكينكم بلقائكم فالصب عند لقائكم يرتاح
خفض الجناح لكم وليس عليكم للصب فى خفض الجناح ، جناح
جودوا بنور الوصل من غسق الدجى فالهجر ليل ، والوصال صباح
لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى كتمانهم ، فنمى الغرام ، فباحوا
حضروا فغابوا عن شهود ذواتهم وتهتكو لما رأوه وصاحوا
قم يا نديم الى المدام ، وهاتها فبحانها قد دارت الأرواح
هى خمرة الحب القديم ، ومنتهى غرض النديم ، فنعم ذاك الراح

هذه بعض أبيات من قصيدته ، تدل كل كلمة فيها عن خلجات نفسه ، وتعبر عن شواهد روحه ، كتبها بقلبه وخطها بذوقه ، لم تملها عليه أبدا روعة عقله ، أو يلهمه إياها صفاء بيانه ، وإنما هى حالة من حالات الغيب والغناء أنتجت تلك الأبيات التى نحس معها وكأن نفوسنا تتسامى مع معانيه ، فتسمو بعيدا بعيدا ، فى عالم الملكوت ، فى عالم الحضرة الربوبية . أو ليس هو القائل :

لأنوار نور الله فى القلب أنوار وللسر فى سر المحبين أسرار
ولما حضرنا للسرور بمجلس وحف بنا من عالم الغيب أسرار
ودارت علينا للمعارف قهوة يطوف بها من جوهر العقل خمار[1]

(١) لاحظ قول ابن سينا : أسقنيها قهوة كدم الظبا .

مكتبتنا العربية

وهو يشرح لنا سبب ترحاله وكثرة أسفاره :

ذرينى أن أسير فلا تنوحى فإن الشهب أشرفها السوارى

ورأيه فى الاتحاد يتضح من قوله :

خليلى إن الأنس فى فرقة الإنس فكن أبداً ما عشت فى حضرة القدس
فأنت هو المغنى وفيك وجوده وفيك جميع الخلق والعرش والكرسى

وليس أصرح من هذا قوله فى وحدة الوجود . فإنه يرى أن الإنسان يشمل فى ذاته كل شىء حتى العرش والكرسى . وما أشبه فكرته بفكرة الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

أليس ذلك هو المعنى الذى يريده حين يقول : «فأنت هو المغنى وفيك وجوده»

وهو كمتصوف ، يعرض عن لذات الدنيا ، يريد بها ما هو خير وأبقى : لذة القرب من الله :

نزلنا على حى كرام بيوتهم متدسة . لا هند فيها ولا علوى
ولاحت لنا نار على البعد أضرمت وجدنا عليها من نحب ومن نهوى
شفانا ، فحيانا وأحيا نفوسنا وأسكرنا من راح إجلاله التقوى

كان السهروردى يقاسى ممن يرمونه بكل نقيصة . فيتجاوز عن الإساءة إليه . تجاوز القادر . العالم . الواصل إلى أسمى الدرجات :

الخلق رضوا بظلمة ذات حزن كم قلت . وكم أقول . لكن مع من ؟

يعرف السهروردى الصوفى بأنه هو الذى اجتمعت فيه الملكات الشريفة ، أما التصوف عنده فهو اصطلاح عن هذه .

ونجد فى مذهبه آثاراً مسيحية . تبدو فيما استعمله من كلمات وما اصطنعه من أساليب .

ويحمل على المشائين الذين « اختصروا على أمور تشبه متولة متى والملك ، فإن هذه الأقاويل لناقصة . ستنطمس حتما إذا نادى المنادى الحق بظهور الحقائق ،

مكتبتنا العربية

وإن بقيت فتبق فى المواقف الجدلية فى رياضة المبتدئين ، فإن صاحب الزروة ذات الألق إذا أنذر صدق ، وإذا وعد حقق » .

وقد قرأ كتب أفلاطون ، ودعا إلى التأمل فيها ، وهو ولا شك قد أخذ منها وتأثر بها .

ويدعونا إلى تفهم الدين ، وأن لا نقبله على علاته : « فإن تعبد الله حبا ، خير من أن تعبده خوفا ، فإن التعبد بالتخويف دين اللئام » . وما أسمى رأيه : « إعمل لنفسك ، فلتمد ذل من أحوج إلى الشفيع » . ثقة متناهية بالله ، وإيمان بعدله عميق هذا هو إيمان السادة ، لا إيمان العبيد .

وجدير بمن كان مثله أن يؤمن بالعقل ، ولم لا يؤمن به وقد درس الفلسفة . والعقل هو آلة الفلاسفة ، اصطنعه السهروردى كما اصطنع الذوق ، والعقل عنده نور الله ، ولا يهدى إلى النور غير النور ، إذ النفس مرآة الله ، ومرآة الله لا تشبهها مرآة الأجسام ، وإذا انحل التركيب رجع الواحد إلى الوحيد .

من هذا نرى أنه يفرق بين النفس وبين البدن ، ويرى فى النفس مرآة لله ، ولا تشبه النفس الأجسام ، فهذه غير تلك ، ومذهبه فى النفس ، كما سبق هو مذهب ابن سينا ، على الأرجح ، وهو المذهب اليونانى القديم ، ولعله أقرب إلى تعريف أرسطو ، الذى ذكره وأخذ به فلاسفة العرب : إن النفس هى كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى وجود بالقوة .

ويدعو السهروردى إلى معرفة الله « بأعاجيب آياته بشواهد هيبة الحضور فإن الفكرة لا تتسلط على إله الأرباب » .

وأكرر هنا ما سبق لنا قوله من أن العلماء الفقهاء المنصفين ، العارفين روح دينهم ، العالمين بأسرار الشريعة السمحاء ، لم يكونوا أبداهم السبب فى مثل هذا الاضطهاد ، وإنما هى فئة قليله ، توجد دائما فى كل عصر ومصر وزمان ، تؤلب الحكام على أمثال هؤلاء المتصوفة الزهاد الناسكين ، وتتعداهم إلى غيرهم من أحرار الفكر ، ودعاة التقدم أعداء الجمود ، فإذا بهؤلاء وهؤلاء يلقون اضطهادا ، ويتماسون عسفا وجورا ، ثم لا يلبث التاريخ حتى ينصفهم ، فإذا بذكراهم تعود عاطرة فياحة نضرة .

مكتبتنا العربية

في أعجاز القرآن :

ابن سنان
و
مذهب الصرفة

لفضيلة الأستاذ الشيخ علي محمد حسن العماري

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تحدثت في مقالات سابقة عن نشأة مذهب الصرفة ، وفهم العلماء السابقين واللاحقين له . ثم تحدثت عما يمكن أن نفهمه منه بعد أن استعرضت موقف النظام ، وموقف الجاحظ من الاسلام بعامة ومن القرآن بخاصة ، وخلصت من كل ذلك إلى أن الذي يمكن أن يفهم من كلام الجاحظ أنه لا يقصد الصرفة بالمعنى المفهوم عند العلماء ، وهو أن العرب كانوا قادرين على الاتيان بمثل القرآن فصاحة وبلاغة ، وإنما معنى الصرفة عنده أن الله صرف العرب عن أن يأتوا بأي معارضة للقرآن ، لئلا تشتبه القصة على الأعراب وأشباه الأعراب ، ويجدوا من يقول أن هذا كالقرآن في علو الطبقة ، فيثور الجدل حول كتاب الله ، ثم تمضي القرون ونجد عالمين كبيرين عاشا في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس ، أحدهما مشرقي والآخر مغربي ، وكلاهما كان رجل سياسة وعلم ، هما ابن حزم الظاهري صاحب كتاب « الفصل في الملل والنحل » والثاني ابن سنان الخفاجي صاحب « سر الفصاحة » وكلاهما يصرح بأن العرب كانوا قادرين على معارضة القرآن ، والإتيان بمثله ، لكن الله صرفهم عن ذلك ، وهذا عندهما هو وجه الإعجاز وسره ، ولا شيء غيره ، فرأيت أن أخص كل واحد منهما بحديث مستقل .

ابن سنان هو أبو محمد عبد الله محمد بن سعيد الخفاجي الشاعر الأديب الشيعي

مكتبتنا العربية

المتكلم تلميذ العالم الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعرى ، ولعل مما يدل على تشيعه وتفضيله علياً على أبى بكر كما يفهم من قوله :

وقالوا قـــد تغيرت الليالى وضيعت المنـــازل والحقوق
وأقسم ما استجد الدهر خلقـــاً ولا عـــدوانه إلا عتيق
أليس يرد عن فدك (على) ويملك أكثر الدنيـــا (عتيق)

وقد شهر الخفاجى بكتابه سر الفصاحة . وهو من الكتب المعدودة فى البلاغة ، ألفه على طريقة الأدباء ولكن كتابه دون كتب عبد القاهر ، كما شهر بالشعر ، وإن كان شعره فى طبقة متوسطة . وجيده قليل . تولى بعض الولايات ، ثم غدر به أمير حلب ، فدس إليه من أصدقائه من سمه فتوفى سنة ٤٦٦ هـ [١] .

ابتدأ فى مقدمة كتابه فذكر أن العلماء مختلفون فى إعجاز القرآن على مذهبين اثنين . أحدهما أنه خرق العادة بفصاحته ، وجرى ذلك مجرى قلب العصا حية . والثانى صرف العرب عن المعارضة مع أن فصاحة القرآن كانت فى مقدورهم ، وهو هنا لا يذكر أن الصرف رأيه ، ولا يجادل عنه . وإنما يمهد بذكر المذهبين ليبين مكان الحاجة على كلا المذهبين إلى معرفة الفصاحة والبلاغة . ولكنه يبادر فينفى شبهة هى أول ما يتوجه إلى مذهب الصرفـــة . ذلك أن المعارضة — فيما يرى [٢] — وقعت فعلا فيرد على ذلك بأن مسيلمة وغيره لم يأت بمعارضة على الحقيقة لأن الكلام الذى أورده خال من الفصاحة التى وقع التحدى بها فى الأسلوب المخصوص . ويقول أن كتابه سيبين أن فصاحة القرآن كانت من جنس فصاحة العرب .

وعنده أن القرآن فى طبقة كلام العرب من حيث تلاؤم حروفه ، وتلاؤم ألفاظه . قرر ذلك عندما عنى بالرد على الرمانى فيما ذهب إليه من أن التأليف على ثلاثة أضرب : متنافر . ومتلائم فى الطبقة الوسطى . ومتلائم فى الطبقة العليا ،

---

[١] ترجم له ترجمتين مستفيضتين الأستاذان الفاضلان الشيخ محمد كامل الفقى فى مجلة الازهر ، والشيخ عبد المنعم خفاجى فى كتيب خاص .

[٢] كتبت فى مجلة الرسالة بحثا نفيت فيه أن يكون وقع شىء من هذه المعارضات ، وإنما هى من تفكهات الأخباريين .

مكتبتنا العربية

وأن القرآن كله من النوع الثالث . ولا يشركه فى ذلك غيره . فيقول فى الرد : « وهذا الذى ذكره غير صحيح ، والقسمة فاسدة ، وذلك أن التأليف على ضربين متنافر ومتلائم . وقد يقع فى المتلائم ما بعضه أشد تلاؤما من بعض . ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام فى هذه القضية ، ويصور حجته وجداله ورأيه فى الأمور الآتية :

(١) متى رجع الإنسان إلى نفسه ، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار ، وجد فى كلام العرب ما يضاهى القرآن فى تأليفه .

(٢) يحمل على قول الرمانى ، ويعتبره دعوى فاسدة ، ويرى أن الأمر لا يحتاج إلى هذا الابعاد الذى ينفر منه كل من علق من الأدب بشىء ، أو عرف من نقد الكلام طرفا ، وأنه لا يخفى إلا على الأعاجم وأشباه الأعاجم الذين لا يميزون بين جيد الكلام وبهرجه . وأن هؤلاء يقولون بأذواقهم السقيمة ، ولا يلجأون لأهل الصناعة .

(٣) يصرح هنا برأيه فيقول : وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التى بها كانوا يتمكنون من المعارضة فى وقت مرامهم ذلك .

(٤) وإذا كان الأمر على هذا فنحن بمعزل عن ادعاء ما ذهب اليه من أن بين تأليف حروف القرآن وبين تأليف غيره من كلام العرب كما بين المتنافر والمتلائم .

(٥) ثم لو ذهبنا إلى أن وجه إعجاز القرآن الفصاحة ، وادعينا أنه أفصح من جميع كلام العرب بدرجة ما بين المعجز والممكن لم نفتقر فى ذلك إلى ادعاء ما ادعاه من مخالفة تأليف حروفه لتأليف الحروف الواقعة فى الفصيح من كلام العرب ، وذلك أنه لم يكن بنفس هذا التأليف ـ فقط ـ فصيحاً ، وإنما الفصاحة لهذا ولغيره .

(٦) أليس التلاؤم معتبراً فى تأليف حروف الكلمة المفردة على ما ذكرناه فيما تقدم ؟ فلا بد من نعم . فيقال له فما عندك فى تأليف كل لفظة من ألفاظ

مكتبتنا العربية

القرآن بانفرادها ، أهو متلائم فى الطبقة العليا أم فى الطبقة الوسطى ؟ فان قال فى الطبقة العليا ، قيل له : أو ليس هذه اللفظة قد تكلمت بها العرب قبل القرآن وبعده ، ولولا ذلك لم يكن عربيا ، ولا كانت العرب فهمته ، فقد أقررت ـ الآن ـ أن فى كلام العرب ما هو متلائم فى الطبقة العليا . وهو الألفاظ المفردة ، وإن قال فى الطبقة الوسطى قيل له ، إن مشاركة القرآن لطبقة الفاظهم على هذا الوجه لا تزال أيضاً .

(٧) إذن لا مانع أن يقال إن فى كلامهم المؤلف من الألفاظ ما هو أيضاً مثل القرآن فى تأليفه ، فان علم الناظر بأحدهما كالعلم بالآخر .

(٨) وليس تنازعنا فى كلمة من كلم القرآن وتمول ليس هذا فى الطبقة العليا ، إلا قلنا مثله فى تأليف الألفاظ بعضها مع بعض لأن الدليل على الموضعين واحد .

وهكذا يخلص من هذا النقاش فى تلاؤم الحروف إلى أن أسلوب القرآن وأسلوب فصيح كلام العرب متحدان فى تلاؤم التأليف ، وكل منهما ـ فى هذا ـ فى الطبقة العليا ، وعلى هذا التمهيد يخلص فى نهاية المطاف إلى ما أراد من أن أسلوب القرآن لا يختلف عن أسلوب الفصحاء من العرب ، فمعارضتهم كانت ممكنة لولا الصرفة ، ومعناها عنده على ما نقلنا آنفا أنهم سلبوا العلوم ، ولكى يتضح هذا المعنى نذكر الاحتمالات التى فهمها العلماء من هذا المذهب ، على نحو ما فى كتاب الطراز لابن حمزة العلوى .

الاحتمال الأول : أن الله سلب دواعى العرب إلى المعارضة ، مع أن أسباب توفر الدواعى فى حقهم حاصلة من التقريع بالعجز ، والتكليف بالانقياد ، ومخالفة الأهواء .

الاحتمال الثانى : ان الله سلبهم العلوم التى لا بد منها فى الاتيان بما يشا كل القرآن ، أعم من أن تكون حاصلة لهم فأزيلت عنهم ، أو غير حاصلة لكن الله صرف دواعيهم عن تحصيلها .

الاحتمال الثالث : ان الله منعهم بالالجاء على جهة التمسر من المعارضة مع كونهم

مكتبتنا العربية

فى يد أحد الصاغة صورة رائعة جذابة ، وفى يد آخر بلدية ساذجة ، وهى هى . أما الرد على نفس المذهب ، فوعدنا به حين نفصل ردود العلماء السابقين عليه .

بقى أن نقول أن الخفاجى لم يتأثر بأستاذه فى هذا المذهب ، لأن أبا العلاء لا يقول به ، وبعض العلماء يذكرون أنه عارض القرآن بكتابه (الفصول والغايات) وينفى ذلك الرافعى فى إعجاز القرآن . وناشر الكتاب فى المقدمة ، وقد ذكر ابن سنان — على ما أرجح — قطعتين ، وهو تلميذ يتحدث عن أستاذه ، فلا يبعد أن يكون أبو العلاء قصد بكتابه هذا أن يكون على نمط القرآن ، دون أن يقصد الأتيان بمثله . ففهم الناس أنه يقصد المعارضة فقالوا ما قالوا ، وكيف يكون ذلك والكتاب كله فى تمجيد الله وتقديسه ، حتى الفقرات التى ذكروها له ، ونقلها الرافعى جاءت ناقصة ومبدلة ، ويظهر أن ما حذف منه تعمدوا حذفه ، لأنه يبطل دعواهم وهذه الكلمات مما حذف : (شعر النابغة وهذيل ، وغناء الطائر على الفيل ، شهادة بالعظمة لمقيم الميل [1]) . وإذا كان أبو العلاء قصد المعارضة على رأى ابن سنان وياقوت ، فلا يكون قائلا بالصرفة ، على أن موقف أبى العلاء من ابن الراوندى وكتبه شهادة على عقيدة الرجل فى القرآن ، تعرض لكتب ابن الراوندى فى رسالة الغفران ، وتخير منها تخرية بليغة ولم يتعرض لرأى من آراء ابن الراوندى ، ولكنه تناول كتبه جملة ، ألا كلمة قالها فى القرآن ، وقد تعرض له ابن الراوندى فى بعض كتبه فقال : إنه يجد فى كلام أكثم بن صيفى أحسن من إنا أعطيناك الكوثر ، فخصه أبو العلاء بكلمة قوية جاء فيها (وأجمع ملحد ومهتد ، وناكب عن المحجة ومقتد ، أن هذا الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، كتاب بهر بالإعجاز ولقى عدوه بالأرجاز ، ما حذى على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال ، ما هو من القصيد الموزون ، ولا الرجز من سهل وحزون ، ولا شاكل خطابة العرب ، ولا سجع الكهنة أولى الأرب) . والرجل مع ذلك قلق حائر مضطرب ، فلسنا نستبعد أن يكون خضع لبعض ذلك فى بعض أيامه ، أما الذى نجزم به — على مبلغ ما اطلعنا عليه من كتبه — أنه لا يقول بمذهب الصرفة ، والله الهادى الى سواء الطريق ؟

---

[١] الفصول والغايات ج ١ ص ٢٥٤ .

مكتبتنا العربية

قادرين ، وسلب قواهم عن ذلك . والثالث هو المشهور ، والثانى مذهب ابن سنان ، ويظهر أنه مذهب القائلين بالصرفة من الشيعة .

وقد ردد ابن سنان مذهبه مرة أخرى حين جعل يرد على من زعم أن القرآن لا يتفاوت فى الفصاحة وذكر أن من يجعل الإعجاز هو بلوغ الدرجة العليا فى الفصاحة لا يعكر عليه أن يكون بعض القرآن أفصح من بعض . ثم يقول :

لكن الصحيح أن وجه الإعجاز هو صرف العرب عن معارضته ، وعنده أن هذا هو المذهب المختار ، وعليه - زعم - أهل هذه الصناعة ، وأرباب هذا العلم ، ثم يقول : وقد سطر عليه من الأدلة ما ليس هذا موضع ذكره ، وكنا نتمنى أن نطلع على هذه الأدلة حتى نناقشها على بينة . لكنه فيما يظهر أودعها كتابه الذى ألفه فى الصرفة ، والذى جاء ذكره فى معجم الأدباء فى ترجمة أبى العلاء المعرى (قرأت بخط عبد الله محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الشاعر فى كتاب له ألفه فى الصرفة زعم فيه أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة حتى صار معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأن كل فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله . ألا إنهم صرفوا عن ذلك . . قال فى تضاعيفه : وقد حمل جماعة من الأدباء قول (بالضم) أصحاب هذا الرأى أنه لا يمكن أحد من المعارضة بعد زمان التحدى . على أن ينظموا على أسلوب القرآن . وأظهر ذلك قوم . وأخفاه آخرون ومما ظهر منه قول أبى العلاء فى بعض كلامه [١] الخ . ثم ساق قطعتين من كلام أبى العلاء .

ولسنا نرى فى كلام ابن سنان هنا ما يجعلنا نؤمن بهذا المذهب ، لأنها دعوى يعوزها الدليل ، وليس أمامنا من الأدلة إلا قوله أن تأليف القران من منهج تأليف كلام العرب فى تلاؤم الألفاظ ، لأن الكلمات المفردة هى كلماتهم ، فلا بد أن تكون الأساليب أساليبهم ، ولا ندرى كيف ذهب عليه أن الكلمات قد تكون واحدة ، ولكن الفصحاء يختلفون فى الصياغة ، ألا ترى قطعة الذهب تكون

---

[١] العبارة فى المعجم جـ ٣ ص ١٤٠ ، وهى مغلوطة هناك أثبتناها على هذا الوجه السليم .

مكتبتنا العربية

على هامش الأخبار

عظة واعتبار، وزجر وانذار

فضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

مدير المكتبة الأزهرية

نشرت صحيفة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ١٩٥١/١/٥ خبراً ملخصه «أن فرقة الباليه الراقصة كانت تقوم باستعراض راقص بصالة جامعة فؤاد الأول بمشهد من بعض السفراء والعظماء والطلاب، فأثارت مناظر الفرقة وحركاتها بعض الطلاب، فتهجموا على العذارى يحاولون تقبيلهن، وقد أغمى على بعضهن»، ونشرت صحيفة أخرى «أن بعضهم قبل فعلا واحدة منهن ذكرت اسمها وصورتها، وأن مدير الجامعة اعتذر إليها وإلى سفير دولتها».

هذا هو الخبر بمختلف رواياته. ولا شك أنه وصمة عار فى جبين مصر. وفى جبين الجامعة المصرية. كما لاشك أن السفراء سيقابلونه بما يستحقه من الاستنكار والاستهجان. لما سيكون له من أثر فى الدوائر المصرية والأجنبية. العلمية منها وغير العلمية، وستجنى منه مصر عامة والهيئات الثقافية بوجه خاص أسوأ الثمرات، وسيصور المصريون من جرائه بصورة البربر المتوحشين الذين لا يقدرون الفن، ولا يرعون الخلق والتقاليد. بله الكرامات والأعراض.

والحادث بذاته وبآثاره كارثة فادحة وشر مستطير، إلا أنه برغم ذلك قد لا يعدم فيه رجل الدين، والغيور على الحرمات الدينية ناحية من نواحى الخير، بل قد يبدو له من التفحص فيه أكثر من ناحية من هذه النواحى.

مكتبتنا العربية

فى الحادث دلالة بالغة للغافلين والجاهلين على صحة الحكم ، وصواب الحكمة فيما جاء به الدين من تحريم اختلاط الجنسين ، وتحريم عرض مفاتن النساء على الرجال فى أية صورة ولأى غرض . لخطورة ذلك على الفتاة والأسرة والأمة .

وفيه حجة دامغة على سخف الأحاديث التى طالما سود بها المستهترون وجه الصحف . وسخروا فيها من أحكام الدين وحكمه فى هذه الناحية ، واتهموها زوراً وضلالا وجهلا بأنها من معوقات نهوض الأمة ، لحرمانها مما فى الاختلاط من تهذيب للأخلاق . . وسمو فى الوجدان والعواطف . وما إلى ذلك من نظريات فاسدة وأقوال خاطئة . ونادوا بوجوب التحلل منها لتفيد الأمة مما حرمت منه ، وجعلوا من ذلك قضية لا يملون من معاودة الحديث فيها ، والتغنى بمحاسنها .

أجل فى هـــذا الحادث أوضح دلالة على سمو الحكمة الدينية فى موضوع الاختلاط . فهو الدليل السافر والبرهان القاطع الذى لا يحتمل شكا أو مماراة تسوقه الأقدار ، لمظاهرة رجال الدين فيما يتحدثون به ويدعون إليه ، وينفقون الوقت والجهد فى طرائق الإقناع به ، وتسوقه الأقدار لتخذل به قوما لدأ حالفوا الشيطان ، واتخذوا من الاستخفاف بالدين وأحكامه وسيلة إلى الشهرة ، وسلما إلى المطامع الدنيئة . فضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وفى هذا الحادث دلالة على أن الإنسان مع أنه ناطق مفكر ، فهو بطبيعته حيوان يستجيب لداعى حيوانيته وغريزته لأول فرصة ، سيما فى عنفوان الشباب وفوران الغريزة ، وأن ما يدعيه المتحذلقون من أن التهذيب يسمو به عن حيوانيته ويكاد يجره عن طبيعته ويحيل نظرته إلى الوقائع والأمور ، ويلحقه بالملائكة الأطهار والأصفياء الأبرار ، ما هو إلا سفسطة ومغالطة يدحضها الحس والواقع حين تبدو طبيعته سافرة لا تحجبها الظلال والألوان .

وفى هذا الحادث زجر وتأديب لأولئك المسئولين الذين يسمحون لهذه المهازل أن تمثل باسم العلم والفن ويعرضون سمعة الأمة للتشويه والتشنيع ، ويصورونها

مكتبتنا العربية

بل ويصورون خاصتها ومتعلميها والشبيبة المرجاة لمستقبلها فى صورة حمر الفلوات ووحوش الأدغال فى وقت كنا نرجى فيه لمصر من وراء الاحتفالات العامة دعاية طيبة وسمعة كريمة ، وتنفق فى سبيل ذلك ما لا يقدر من الجهد والمال .

ولعمر الحق ما ينبغى أن يكتفى فى تأديب أولئك بهذا الزجر الأدبى وما باءوا به من الخزى والعار ، ولكن وجه الصواب فى مؤاخذتهم ، وسبيل الحزم والصرامة معهم ، أن نقدمهم إلى المحاكمة بتهمة تعريض سمعة الأمة وكرامتها لمثل ما تعرضت له من تشويه وتشنيع وافتضاح .

وفى هذا الحادث أخيراً نذير لأولياء أمور الفتيات والقوامين عليهن ، بأن لا تخدعهم زخارف القول فى استحسان تحرر الفتيات وتحللهن من أحكام الدين وتقاليد الشرق الكريمة باسم الرقى والتجديد ، وإباحة اختلاطهن بالرجال فى المنازل والملاهى .

ولا يخدعهم ما ينعب به المجددون من أن الحجاب أثر من آثار الاستبداد والأثرة وتحكم الرجل فى المرأة وحكم من أحكام الدين القاسية ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ، فما هو إلا مرحمة من مراحم الدين ، وما هو إلا حكمة سامية فى أن تكون الفتيات كما أراد الله لهن من التصون والعفاف والبعد عن أعين الغرباء وقلوبهم ، والسمو بهن عن أحاديث السوء والبهتان ، ليكن كالجواهر الكريمة يزيدها الاغتراب حباً إلى النفوس وإغراء بالتطلع إليها والمغالاة فى المحافظة عليها :

وزاده كلفاً بالحب أن منعت وحب شىء إلى الإنسان ما منعا

هذه كلمات أوحى إلى هذا الخبر بكتابتها ، وفى النفس أشياء وأشياء ، وعسى أن يكون فى تلك الكلمات خير فيصدق ما يقال :

« يأتى الخير أحياناً من طريق الشر » .

مكتبتنا العربية

مصر والسودان

لحضرة الأستاذ عبد المنعم الشيخ
مدرس أول الآداب بالمعاهد الدينية

عرضنا فى العدد السابق من هذه المجلة ، للرباط التاريخى الجامع بين مصر والسودان . والآن نتابع بسطنا لهذا الموضوع ، موضحين بقية الروابط التى تقوى دعائم الوحدة ، وتشد من أزر الداعين إليها ، العاملين على تحقيقها ، وتوهن دعوة الباطل ، وتسكت صوت الجور والطغيان .

فمن الوجهة الجغرافية ، تعتبر مصر والسودان ، وطناً واحداً ، ويقسم هذا الوطن الواحد ، إلى عدة أوطان محلية ، يمثل كل منها إقليما جغرافياً صغيراً ، كان له دوره الخاص فى نشأة المدنية وتطورها . ومن تلك الأقاليم جميعاً ، يتكون ذلك الوطن الواحد ، مصر والسودان ، الذى يربط نهر النيل بين أجزائه ، بحيث يتمم بعضها بعضاً . ويحسن أن نشير فى هذا الصدد ، إلى أنواع الحدود الكثيرة : فهناك الحدود السياسية بصورتها المعروفة ، ثم الحدود الحيوية ، التى تشمل المصالح الضرورية ، كتلك التى ترتبط بها حياة مصر ، وهذه تمتد إلى معظم جهات حوض النيل ، لا سيما السودان والحبشة ، اللتين يأتى عن طريقهما ماء الفيضان والغرين ، الذى يغذى الأرض ، ويجدد الخصب ، وكذلك الهضبة الاستوائية ، التى تمد مصر بالمياه فى انتظام طول العام ، فتعوض من ذبذبة الفيضان الحبشى ، الذى يقتصر على جزء محدد من السنة . وهناك الحدود الثقافية والبشرية العامة ، التى تشمل تلك الأراضى التى تربطها بمصر التاريخية ، روابط قوية من الثقافة المتبادلة ومن مختلف النواحى البشرية العامة ، وهذه تشمل السودان الشمالى ، وبقية شمال أفريقية وهناك كذلك الحدود العسكرية ، التى ترتبط بشئون الدفاع عن مصر ، وتشمل الصحارى المجاورة ، وتمتد إلى ما وراء الحدود السياسية من ناحية الجنوب ، على أننا إذا جمعنا بين الناحيتين الحيوية والبشرية العامة ، فإننا نصل إلى أن حوض

مكتبتنا العربية

النيل الأوسط والأدنى فى شمال السودان ووسطه وفى مصر يكوّن وطناً واحداً متماسك الأجزاء.

أما من الناحية الثقافية، فإن مصر ترتبط بالسودان، بروابط ثقافية، تزيد الألفة بينهما، ولعل هذه الرابطة حالياً، وما نتمناه لها من الازدهار والنماء، تكون من أقوى العوامل، التى تؤازر فكرة التوحيد، وتعمل على إيقاظها، فى جو من نور العرفان، وتقدير حقائق الأمور.. وسآتى الآن على مختلف الوسائل الثقافية التى تنشرها مصر فى السودان، ولكن فى شىء من الايجاز: فهناك كلية الأقباط بالخرطوم، وطلبتها خليط من المصريين والسودانيين، وبها أقسام ثلاث، روضة وابتدائى وثانوى، وتعينها وزارة المعارف المصرية، بما تقدمه لها من مدرسين ومختلف المساعدات، كما أزمعت وزارة المعارف المصرية، إنشاء مدرسة ثانوية حكومية بالخرطوم، ولكن الاعتماد اللازم لها حذف من ميزانية ١٩٣٩/٤٠ بسبب نشوب الحرب.

وتعمل وزارة المعارف المصرية جاهدة على تيسير العلم لأبناء الجنوب. فخفضت لهم أجور السفر ليسهل انتقالهم إلى الشمال، ليعبوا من مناهله العذبة. كما أخذت ترسل إلى السودان بعض الأفلام التثقيفية المصرية، وعملت كذلك على إنشاء محطة للأذاعة المصرية هناك. ولوزارة الشئون الاجتماعية لجنة فرعية ضمن لجنة السودان الدائمة، وذلك لتنظيم الجهود الاجتماعية والخيرية، لمساعدة إخواننا السودانيين فى الملمات. ويحسن أن تعرف أن لنادى الصيد الملكى فرع بالسودان. وهناك وسائل كثيرة لزيادة الربط بين الشقين، أمرها هين ميسور معروف، لمن يريد أن يخطو خطوات موفقة فى هذا السبيل.

وترتبط مصر بالسودان، بروابط اقتصادية متينة، فمن السودان تستورد مصر الأغنام والمواشى وجلود الماشية غير المدبوغة، والسمن والأسماك المملحة، والذرة العويجة والفول السودانى، والسمسم والفاصولياء، والحمص والباذلاء، ولب البطيخ والبلح. أما مصر فتصدر إلى السودان السكر والمنسوجات، وخاصة المنسوجات القطنية المصبوغة بعد النسيج والمنسوجات القطنية المخلوطة بالحرير الصناعى، ومنسوجات الحرير الطبيعى، ومنسوجات الحرير الصناعى. وتصدر مصر كذلك

مكتبتنا العربية

إلى السودان الدخان والسجاير والتمباك والسيجار ، والأسمنت والصابون ، والفواكه الطازجة ، والحلوى والمربات المحفوظة ، والأرز والأحذية الجلدية ، والمصنوعة من القماش والمطاط .

ولكن يجب أن نقرر أنه ما زالت هنالك بعض العقبات فى طريق صادرات مصر إلى السودان ومن ذلك ارتفاع أجور نقل المنتجات المصرية على السكك الحديدية السودانية ، كما انعدمت الدعاية المصرية للمنتجات فى أسواق السودان ، ويدخل فى ذلك أيضاً شدة المنافسة اليابانية للمنتجات المصرية ، وفساد النظام الجمركى فى السودان ، ذلك النظام الذى لا يحمى المنتجات المصرية من الواردات الأجنبية ، أضف على ذلك السمعة السيئة ، التى أوجدها الوسطاء بتصرفاتهم غير المشروعة .

وأما عن الرباط القومى والسياسى ، فيبدو أن فكرة التوحيد بين الشطرين ، قد نبتت أولا فى الوطن المصرى المتحضر ، الذى أدرك كنه هذه العلاقة ، فسير الجيوش لضم الشطر الشقيق ، أما فكرة الضم هذه فقد نبتت فى أذهان السودانيين لما مستهم الحضارة والمدنية ، وحل بواديهم نور العرفان ، واعتقدوا ، كما اعتقد أشقاؤهم ، فى الشمال ، أن لا حياة لمصر بدون السودان ، ولا حياة للسودان بدون مصر ، فتكونت عندهم الأحزاب السياسية التى تدعو إلى ذلك ، وتعمل جاهدة لبلوغ هذه الغاية المحببة .

ولكن لما طغت الموجة الاستعمارية على القارة الإفريقية ، ووقعت مصر والسودان فى أرجل الأخطبوط الإنجليزى ، ظهر فى الأفق ما يمكن أن نسميه بالمسألة السودانية المصرية ، لأن الذى كانت تستطيع مصر تحقيقه بقوة الجيش والعتاد ، أضحت تلجأ إليه سياسيا عن طريق المفاوضة والمحادثات . وهى إذا كانت مع الإنجليز دهاة السياسة ، وقراصنة الاستعمار ، أضحت الآمال من ورائها سرابا خداعا ، يقتل المغتر فيه !!

وسأتناول فى هذه العجالة أبرز مشكلة فى تاريخ علاقاتنا بالانجليز ، خاصة بالسودان ، وهى اتفاقية ١٨٩٩ ، والحكم الثنائى فى السودان ، وهى الاتفاقية ، التى بح صوتنا فى المطالبة بالغائها . وتبتدىء هذه الاتفاقية بعرض حيثياتها ومقتضياتها ، فتقول بما أن بعض الأقاليم السودانية قد خرجت عن طاعة الخديوى ،

مكتبتنا العربية

وأعيد فتحها بالجهود الحربية والمالية المشتركة بين مصر وانجلترا ، فقد أصبح لزاماً ، أن تشترك الدولتان ، بحق الفتح ، فى وضع النظام الادارى والقانونى للسودان . ولست أبغى هنا سرداً لنصوص هذه الاتفاقية ، وإنما أكتفى بتفنيد دعوى الانجليز فى تمسكهم بها بحجة الفتح المشترك ، وفى ذلك يقول رجال القانون المصريون ، إن الحكومة المصرية قد أكرهت على إخلاء السودان ، وإن الخديو بمقتضى الفرامانات الشاهانية ، لايملك حق النزول عن أرض مصرية أو تابعة لمصر ، وفوق ذلك فالفرامانات التركية تحرم على الخديو إبرام اتفاقيات سياسية ، وانجلترا إحدى الدول المعترفة بهذه الفرامانات ، وكذلك لم يقترن الاتفاق بملكية السلطان العثمانى للسودان ، وهو ملك له ، كما أن مصر كانت تابعة للسيادة التركية .

وعليه فاتفاقية عام ١٨٨٩ ، لا تربط مصر ، من الوجهة القانونية الدولية ، أضف إلى ذلك : أن عبء فتح السودان ، وقع أكثره على عاتق مصر ، حيث لم تشترك انجلترا فيه ، إلا ببضع مئين . ثم إن مساعدة الحامية الانجليزية لمصر فى هذا الفتح ، يعتبر من باب مساعدة الوصى لمحجوره فى رد جزء من أملاكه ، فقد بسبب سوء تصرفاته . وسوف لا أعرض لتاريخ النضال بين انجلترا ومصر ، من أجل السودان ، منذ بدء الحركة الوطنية وقبلها ، لأن ذلك يحتاج بحوثاً مستفيضة ، يضيق بها الوقت ، والمهم هو أن نعلم ، أن قادة الشعب المصرى ، لا يفتأون يتطعون المفاوضات ، ويتعرضون لوطأة النفى والحرمان ، ضناً منهم بالتفريط فى قضية ، هى الحياة لكلا الشطرين ، ويناصر قادة الشعب المصرى فى الشمال ، قادة الشعب السودانى وزعماؤه المستنيرون فى الجنوب ، ذلك لأنهم يدركون أن الاتحاد ، ليس فى أى صورة من صوره ، استعماراً أو تسلطاً ، وإنما هو اتحاد المصالح المشتركة والعواطف المتبادلة .

أما عن الرباط الجنسى واللغوى والدينى ، فنحن قد علمنا ، مما سلف فى العدد الفائت ، أن سكان السودان ينتمون إلى أصول كثيرة ، منها الزنوج ، والبجة ، والنوبة والمولدون ، والمهاجرون والعرب ، وجلهم يقطن إقليم النوبة ، ولغتهم هى العربية ، ودينهم هو الإسلام ، وعلى ذلك نرى أن السودانيين تربطهم بالمصريين ، رابطة الدم واللغة والدين .

وختاماً لموضوعنا هذا يحسن أن نورد بعض التصريحات التى أجراها الحق

مكتبتنا العربية

والعدل على ألسنة بعض ساسة الإنجليز ، ولكن هذه التصريحات ، لا تكاد تخرج من أفواههم ، حتى تذيبها حرارة جشعهم الاستعمارى ، وتتلاشى أمام الحقيقة المسيطرة المسيرة لسياسة الدول الاستعمارية ، وهى أن المبادىء الفلسفية ، والتوكيدات والوثائق النظرية ، التى ينادى بها ، ساسة الدول ، إبان المحن والكروب ، لا يمكن أن تخرج إلى عالم الواقع ، إذا عاد السلام مرة أخرى ! ! قال اللورد « سالسبورى » لسفير فرنسا فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٦ « إنى متمسك على وجه العموم بهذا الرأى - ذلك أن وادى النيل ، كان وما زال ولن يزال ملكا لمصر ، وإن كل مانع أو انتقاص ألم بحقوق هذه الملكية ، ومن جراء فتح أو احتلال المهدى قد زال وتلاشى بحكم انتصار الجيش الإنجليزى المصرى » . وخطب اللورد « روسبرى » فى مدينة « أبسون » بتاريخ ١٢ أكتوبر عام ١٨٩٨ فقال « لكى نقرر حقوق مصر على فاشودة ، بطريقة حاسمة ، قد كفانا أن نذكر الحكومة الفرنسية بأقوالها فى السنين الأخيرة ، وذلك باستعارة أقوال « المسيو دكريه » و « كوريسل » و « هانوتو » « نحن على وشك أن نرد لمصر ، ما هو من أرضها ، وذلك حسب التصريحات التى فاهت بها الحكومة المصرية » وهذا أمر جلى واضح ، حتى إنه ليشق على أن أصدق ، أنه فى الإمكان العثور على شىء ينافيه » . وكتب « اللورد كرومر » ، فى تقريره عن عام ١٩٠١ « وليس الغرض من عقد اتفاقية عام ١٨٩٩ حرمان مصر من حقوقها فى السودان ، بل تزويده بحكومة صالحة ، والتخلص من العقبات التى تلتاها ، فى مسألة الامتيازات » . وكتب اللورد كمبرلى فى ٤ إبريل عام ١٨٩٥ إلى « اللورد دوفرين » « إذا كانت مصر تسترد السودان ، الذى كانت تحتله فى المدة السالفة ، فمن الواجب علينا ، أن نعترف بحقها فى امتلاكه » . واعترف « اللورد كرومر » فى تقريره عام ١٩٠١ . بمشروعية الملاحظات ، التى أبداها فى مجلس الشورى ، عند الاقتراح على الميزانية الخاصة بالسودان ، فقد قرر فيها المجلس « أن السودان ، جزء متمم لمصر » .

تلك هى التصريحات والمكاتبات النظرية ، لكبار الانجليز فى المسألة المصرية السودانية . فأين نحن منها فى عالم الواقع ؟ ! ويمكن أن نلمح طابع الدهاء فى السياسة الانجليزية ، عندما نعلم ، أنه بعد أن أعيد فتح السودان ، عينت الحكومة

مكتبتنا العربية

السودانية ، مرتبات لأبناء المهدى وخلفائه وزعماء المهدوية ، وعينتهم فى كثير من الوظائف ، وعملت أبناءهم بالمجان .

أما اهتمام ملوك مصر والزعماء فيها بأمر السودان فشىء غنى عن البيان ، وليست استقالة شريف باشا فى أواخر عام ١٨٨٣ ، من أجل السودان ، بالأمر الذى يغيب عن الأذهان ، وليست تغيب عن الأذهان كذلك ، مذكرة رياض باشا إلى السير « إفلن بارنج » فى ٩ ديسمبر عام ١٨٨٧ ، وهى بشأن السودان ، وقد جاء فيها « لا ينازع إنسان فى أن النيل ، هو حياة مصر ، وهذا أمر واضح جلى ، لا يختلف فيه إثنان . إذاً النيل هو السودان ، ولا يرتاب أحد ، فى أن العلائق التى تربطهما لا انفكاك لها ، وهى أشبه شىء بعلاقة الروح بالجسد ، فإذا استولت دولة ما على ضفاف النيل ، فعلى مصر العفاء ، ويعلم من ذلك أن حكومة سمو الخديو لا يمكن أن تقبل بمحض رضاها واختيارها ، وبدون أن تكره على ذلك تعدياً كهذا على وجودها وحياتها » وليس أدل على بالغ عنايتنا بشئون الجنوب ، من تشكيل محمود سامى باشا البارودى وزارة للسودان . وقد جاء فى مشروع الدستور الذى وصفته لجنة الدستور فى عهد وزارة عبد الخالق ثروت باشا عام ١٩٢٢ بشأن السودان : (مادة ٢٩) الملك يلقب بملك مصر (مادة ١٤٥) تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية جميعها عدا السودان ، فمع أنه جزء متمم لها ، يقرر نظام الحكم فيه بقانون خاص .

ولقد استقالت وزارة ثروت باشا ومن بعدها وزارة نسيم باشا بسبب معارضة الحكومة الإنجليزية لهذين النصين ، وجاءت من بعدهما وزارة يحيى إبراهيم باشا فى ١٥ مارس عام ١٩٢٣ ، فرفعت كلمة السودان ، حتى يقرر أمره نهائيا بواسطة المفاوضات ، ثم عدلت أيضا فى المادة (١٤٥) بأن قالت « إن حذف كلمة : السودان جزء من مصر ، لا تمس ما لمصر من الحقوق فى السودان . وصدر الدستور على هذا الأساس فى ١٩ إبريل عام ١٩٢٣ .

وعلى هذا نرى أن فكرة إندماج شمال الوادى مع جنوبه . فكرة مختلطة باللحم والدم ، وعقيدة راسخة فى قلوب المواطنين جميعاً ، سودانيين ومصريين . وسوف لا يتحولون عنها . ولو مزجوا ماء النيل ، بالدماء تتدفق مع تياره الى الشمال ، ويضوع عبيرها مع نسماته الى الجنوب ! !

مكتبتنا العربية

ضبط النفس

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الوهاب
مفتش الوعظ العام بالأزهر

كل بنى الإنسان فى هذه الحياة ، بين تصاريفها المختلفة ، وأوضاعها المتباينة ، متقلبون فى سراء وضراء ، تتقاذفهم منح ومحن ، وتتجاذبهم قوى الخير والشر ، والنعماء والبأساء .

والكيس الفطن هو الذى يلقى الأحداث على ما فيها من شدة وحدة بأناة ، وصبر ، وضبط للنفس ، واعتصام بالسكينة يهديه إليها عقله المتبصر ، وقلبه المستنير ، ويمسّكه بها دينه الذى يبشره فى دنياه وأخراه بالحسنيين . ويُظفّره بفضل الله ، وحمد الناس .

ضبط النفس حين تترعها سفاهة السفهاء ، ارتفاع بها عن هذا الدرك البغيض ، وسمو لها فى حالق المجد ، وسماوات الجلال .

وضبط النفس فى ملاقاة أحداث الدهر ، جلادة تنشط العزيمة ، وتقوى الشكيمة ، وتنبىء عن الثقة بالله والرضا بقضاء الله .

وضبط النفس فى تحمل أعباء الحياة ، والقيام على شئونها فى تعامل واختلاط ، وتربية ، أجل أثراً ، وأعظم خطراً ، ففيه الأسوة الطيبة ، والعزة الغالبة ، والترويض الحكيم فى شئون الأسرة ، يلزمنا ضبط النفس . فإذا اختلف الزوجان فى أمر صغير أو كبير ، وقام ضبط النفس ليسد على هذا الخلاف منفذه إلى الشر المستطير ، مرت العاصفة بسلام وهدأ الزوجان إلى حسن التفاهم ، وحكم العقل ، وسداد التفكير .

وإذا اختلف الولد مع أبيه ، أو الأخ مع أخيه ، وأخذت الروية تحيط المختلفين بسكينتها ، وبصيرتها ، واستمع كل مخالف إلى نذير الفُرقة ، وتشتيت الأسرة ،

مكتبتنا العربية

ينعق بين هـذا الخلاف ، فأقبل فى اشفاق ، وحب ، يقطع حبل هذا الشقاق ، ويصل ما كان من مودة ، وطاعة ، وألفة ، إذن : لكان لضبط النفس فى الأسرة سبيل إلى العزة ، والسعادة والائتلاف .

وفى شئون التربية والتعليم يلزمنا ضبط النفس فالأستاذ ـ لا ريب ـ يرى من جموح طلابه ـ فى شبابهم ـ ومن نزواتهم ، ونزغاتهم ، ما لو برم بهـا ، ويئس من علاجها ، لاستفحلت ، واستعظمت ، وهنا فى ضبط النفس ، وأخـذ الأمور بالحـكمة ، والحنكة وحسن التوجيـه ، ما يرجى معه ، فى حسن الاسـتعداد من الطلاب ، استكمال غايتهم ، وارتقاب ظفرهم ، ودوام الحب ، والتقدير ، وحسن الرعاية .

وضبط النفس فى التعامل بين الناس ، تفويت للقصد السيء من المسيء ، وكسر من حدة الشر المعتدى ، وتضييق من هوة الخلاف ، حتى يرأب الصدع ، ويسكن الثائر ، ويهدأ الخاطر .

ذكروا أن رجلا شتم الشعبى ، فقال الشعبى له : « ان كنت كما قلتَ فغفر الله لى وان لم أكن كما قلتَ فغفر الله لك » .

وقسم معاوية رضى الله عنه قطائفا ، فأعطى شيخا من أهل دمشق قطيفة منها ، فلم تعجبه ، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية ، فأتاه ، فأخبره . . فقال له معاوية : أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ . . .

وما أجمل ما ينطق القرآن الحـكيم : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

ولقد جاء هذا الدين الحنيف ـــ دين الإسلام ـــ مبيناً شرف الغاية ، وجمال القصد ، فى ضبط النفس قال عز شأنه « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » .

كما جاء مبيناً الأثر السيء والخطر الجسيم ، فى ثورة النفس ، وانطلاق شيطانها يعيث فساداً ، ويتوض وداداً ، ويقطع الأمن والأمان .

روى الأمام مسلم عن جابر رضى الله عنـه قال : اقتتل غلامان ، غلام من المهاجرين ، وغلام من الأنصار ، فنادى المهاجر أو المهاجرون يالمهاجرين ، ونادى

مكتبتنا العربية

الأنصارى : ياللأنصار ؟ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما هـذا ؟ ؟ دعوى أهل الجاهليه ... قالوا لا يا رسول الله ألا إن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر . قال . فلا بأس ، ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر ، وإن كان مظلوماً فلينصره .

وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

وقد حكى عن الأحنف بن قيس أنه قال ما عادانى أحـــد قط إلا أخذت فى أمره بإحدى ثلاث خصال ... إن كان أعلى منى عرفت له قدره ، وإن كان دونى رفعت قدرى عنه ، وإن كان نظيرى تفضلت عليه .

وقال الشاعر :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منـــه إلى الجرائم
فما الناس إلا واحـــد من ثلاثة ... شريف ، ومشروف ، ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق ، والحق لازم .
وأما الذى دونى فاحـــلم دائبا ... أصون به عرضى وإن لام لائم
وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا ... تفضلت : إن الفضل بالفخر حاكم

* * *

وبعد : فإن نحن أهبنا بالناس جميعا ، على اختلاف أجناسهم ومراتبهم ، رجالهم ونسائهم ، شبابهم وشيوخهم ، صناعهم وزراعهم وتجارهم ، وأصحاب الأعمال ، وأرباب الوظائف ، والرؤساء والمرؤسين والحكام والمحكومين أن اضبطوا أنفسكم ، واكظموا غيظكم . وأيقظوا عاطفة الصفح والحلم والأناة ، فإن القرآن الكريم قد نادى بذلك المبدأ السامى النبيل « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

وأن السنة المطهرة قد أبرزته واضحا ناصعا فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

الا : ولمثل هذا فليعمل العاملون ، والله الموفق .. والمستعان ؟

مكتبتنا العربية

تعدد الزوجات

للأستاذ ابراهيم عمار

المراقب بالأزهر

هذه نثرات عما فى حياتنا من عيوب ، أردت من تصويرها أن أضع العلاج لها رجاء أن نقلع عنها ، إن لم يكن استجابة لنـــداء الدين ، فإجابة لداعى الوطنية ، وحرصا على النفوس من التدهور والسقوط .

يعتبر الدين الإسلامى الزوجة الدعامة الأولى فى بناء حياة الأسرة والخلية التى يتكون منها جسم الأمة ويقوم عليها صرح الدول ومجد الشعوب .

ويحرص على أن تكون هذه الخلية سليمة منيعة قوية لتنتج نسلا كثيراً منيعا قويا ، وبذلك يكثر سواد المسلمين : وتتحقق فكرة الإسلام من عمارة الأرض ونماء الثروة ، وازدهار الحضارة ، وتقدم العلوم والفنون ، وأن يكون النـاس كلهم إخوانا متساوين يسودهم القانون ، وتخفق على الرءوس ألوية الحق والعدالة والحرية والمساواة .

فتراه قد تعهـــدها فى جميع مراحلها برعايته وعطفه وأحاطها بسياج من الضمانات القوية ، وطائفة من النظم القويمة ، ومكن لها فى بيتهـا ، وجعلها حفيظة على ما فيه من مال وبنين .

وحسبى فى التدليل على هذا سلوك النبى صلى الله عليه وسلم مع زوجه خديجة رضى الله عنها : فلم يعرف عنه أنه وقف منها موقفا لا ترضاه ، ولم يحفظ لنا التاريخ « على طول ما حفظ من مراحل حياته دقيقها وجليلها هينها وعظيمها » أنه آلمها او آذاها او تركها تبيت ليلة واحدة على غير تمجيده كزوج وكأب يرعى ابناءه ويتعهدهم ويكفل لهم الطمأنينة والإسعاد .

مكتبتنا العربية

الوجود ، هو ذلك الصراعُ العنيف ، والحرب الدامية التى نشبت بين الأمين وأخيه المأمون ... ولو أنهما كانا من أم واحدة ، لما كانت الحرب ، ولما انتهت إلى هذه النهاية المفجعة ، ولما وجدت نيرانُ المطامع ـ بعد ذلك ـ وقوداً لها تشعله كلما هيئت الفرص ، ومهد السبيل .

ومن الغريب المخجل أن يعلم الناس هذا ، ثم لا يتحاشونه ، بل يتمبلون عليه ، ويأخذون بأسبابه ، فأولوا الأمر يعددون من زوجاتهم ، وتتعدد أولادهم تبعا لذلك ، ثم ينتهجون نفس الخطة التى أودت بمن سبقهم .

والناس أيضاً يقلدون ويكثرون من الزواج ويعددون ويلدون ، ويملأون البيت عيالا مختلفى الأجناس والألوان ، فينشأون ولا رابطة بينهم بل بالعكس كل منهم عدو لأخيه ، الآخر يتحين الفرص لاستلابه أو لاغتياله ، فيعيش كل منهم على

نلفت نظر حضرات قراء مجلة الأزهر إلى أن ما بصفحة ٣٦٤ هو لصفحة ٣٦٥ وبالعكس .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أعرف اسرا كثيرة منيت بهذا المرض واعرف فى نفس بعيها [illegible]
والانحلال والانحطاط : ومن الغريب أن هذا مضطرد لم يخطىء مرة .

ومن الناس من يفر من لوثة تعدد الزوجات ويطيع شهواته وهواه ونوازع الشرفيه فيلجأ إلى عش يسمى فى عرفهم « جرسونيرا » يزاول فيه إثمه ويهتك أعراض المجتمع .

ولو عرف هؤلاء الناس مقدار تأثير هذا فى نفوس زوجاتهم وأبنائهم وضرره على كرامة أوطانهم وسمعة أديانهم ما فعلوه .

نعم أباح الاسلام مبدأ تعـــدد الزوجات ولكنه لم يبحه مسايرة للشهوات البهيمية ولكن رأبا لصدوع الاجتماع من هذه الناحية ، فكثيراً ما تدعو إليه الحاجة وتستقيم به المصلحة وتحفظ به الكرامة .

فيجب على من يقدم عليه أن يلاحظ هذه الناحية من الشريعة السمحة وأن لا يتخذ من السماح به تكأة لاشباع شهواته والانقياد لأهوائه .

مكتبتنا العربية

وغاية الإسلام من الزواج بينة واضحة صريحة كما جاء فى القرآن الكريم :

ومن آياته « أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعـــل بينكم مودة ورحمة » .

فأى تواد ورحمة عنـد قوم تتعدد فى بيوتهم الزوجة ، وكيف يسكن الزوج لزوجه والزوجة لزوجها وهم يبيتون على عداء ؟

إن البيت الذى يضم بين جدرانه أولاداً ليسوا أشقاء ، لهو بيتٌ يُضنيه الحقد ويُرديه الغل ، وتمضى عليه الأطماع ، وتهلكه المنازعات .

وإن الولد الذى ينشأ فى أحضان هذا البيت ، لهو ولدٌ قد قدّ قلبه من صخر وحيك ضميرُه من قسوة ، لا يعرف حبا ولا رحمة ، يُنكر حق الأخوة ، ويجهل ما لها من قداسة ، ولا يكن فى نفسه غير الجشع والطمع ، واستلاب مال أخوته الباقين ، قد انطوت نفسه على الحقد ، فلا ينفع فيه نصح ولا إرشاد ، وتربى على الغل ، فلا يشفى ما بنفسه إلا أن يبتلعهم : حقهم ومالهم ، وأحيانا حياتهم ، وبذلك يصبح البيتُ جحيما أو كالجحيم .

وإن المجتمع الذى يتكون من مثل هذا النشء ، لهو مجتمعٌ عليلٌ هزيل ، قد أصابه التفكك والانحلال ، ليس له غاية مرسومةٌ ، ولا مثل أعلى يسعى للوصول إليه ، بل لا هدف له من الحياة سوى أن يغتنى ، بأية طريقة يكون الغنى ، وأن يأكل كيف يكون الأكل ، لا يعتمد عليه فى حرب أو سلم ، لأنه فقد روحانية الحياة فى أيامه الأولى ، وليس بعائد إليها إلا بمعجزة ، ومن الأسف أن فات زمن المعجزات .

ومن العجب أن الدين ينادى ولا استماع ، والتاريخ يحدث ويطيل ، ولا وعى ولا اعتبار ، والعظات تقرع الأسماع كل يوم ولا ازدجار !

أما الدينُ ، فهذه غاية من الزواج قد عرفناها ، ولكن خالفناها ، ولم نصغ إلى قوله تعالى « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ولا لقوله : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . بل أطلقنا لنفوسنا وشهواتنا ونزعاتنا العقال ، وعددنا من الزوجات ، فلم نصل إلى النتيجة التى أرادها الله بقوله : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وأما التاريخ فيحدث أن أهم المعاول فى هدم الدولة العباسية ، وزوالها من

مكتبتنا العربية

البريد فى الإسلام

التنظيم الادارى فى الدولة الاسلامية

للأستاذ هاشم محمد ابراهيم

المدرس بمعهد القاهرة

نظام البريد نظام قديم يرجع إلى زمن الأمويين - بل إن الدولة العربية ورثت هذا النظام عن الدولة البيزنطية والفارسية .

فالبريد إذن ليست كلمة عربية إنما كلمة لاتينية مأخوذة من Veradus أى الدابة التى يركبها العامل ثم نقلت مجازاً إلى المسافة المقطوعة ثم استعملت إسماً للنظام كله .

وذهب آخرون إلى أنه فارسى معرب ، فأصله بالفارسية (بريده دم) ومعناه مقصوص الذنب وذلك لأن الفرس كانوا يقصون ذنب بغل البريد ليمتاز عن غيره من الدواب الأخرى وكان يطلق البريد على الرسول .

والبريد فى الاصطلاح : هو أن يجعل خيل مضمرات فى عدة أماكن ، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه ركب فرساً مستريحاً ، وكذلك يفعل فى المكان الآخر حتى يصل بسرعة .

أما معناه اللغوى : فهو مسافة معلومة مقـــدرة باثنى عشر ميلا (الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٠١) .

ويقال إن أول من وضع البريد فى الإسلام معاوية بن أبى سفيان الذى أخذه عن الروم أثناء حكمه فى الشام وقد اهتم عبد الملك بن مروان بهذا النظام فأدخل عليه عدة تحسينات فأصبح أداة هامة فى إدارة شؤون الدولة الأموية ، وقد أثر عن عبد الملك أنه قال لأحد رجاله : ولّيتك ما حضر بابى إلا أربعة : المؤذن ، فإنه

مكتبتنا العربية

داعى الله تعالى فلا حجاب عليه . وطارق الليل ، فشر ما أتى به ولو وجد خيرا لنام ، والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه فربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة . والطعام إذا أدرك ، فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول (القلقشندى ج ١٤ ص ٣٦٧) كذلك أنشأ عمر بن عبد العزيز حانات ينام فيها الناس وأحواض للشرب .

وفى عهد العباسيين ازدادت العناية بنظام البريد ، فبلغ هـذا النظام غاية كماله أيام الرشيد والمهدى ، وكانت بغداد — عاصمة العباسيين — تتشعب منها الطرق فى كل الجهات ، وبلغ عدد الطرق التى تخرج من بغداد ٩٣٠ طريقا مثل الطرق الرومانية التى كانت قديماً متصلة بروما — فكل الطرق تؤدى إلى روما — وهذا الوصف أيضاً يصدق على بغداد ، فكانت هناك طرق رئيسية وطرق فرعية أيضا فالطريق الرئيسى الأعظم هو الذى يخرج من بغداد إلى خراسان ويسير إلى حدود الصين ، وهذا الطريق طويل جداً يشق الدولة الفارسية من الشرق والغرب ، ومن الغريب أن هذا الطريق لا يزال يسلك إيران ، وهناك طرق أخرى من بغداد إلى الأقاليم الشرقية والجنوبية والغربية : فمن بغداد إلى الحجاز لتسهيل أداء فريضة الحج عن طريق الكوفة إلى الصحراء العربية إلى مكة والمدينة ، ثم طريق شمالى من بغداد إلى الموصل ، ثم طريق شمالى غربى من بغداد إلى الأنبار ثم يعبر الشام والثغور — وطريق آخر من الشام إلى مصر إلى بلاد المغرب . وهـذه الطرق الرئيسية تتشعب منها طرق صغيرة لا حصر لها .

فنظام البريد إذن رغم أنه كان مشتقا من البريد البيزنطى والفارسى إلا أنه عنى به عناية شديدة ويرجع ذلك إلى عاملين اساسيين :

وهما : الحج ومراكب التجارة أو الاتصال البرى بين بغداد وأطراف الدولة العباسية ، لذلك كان هذا النظام مهما فى النواحى الدينية والاقتصادية والسياسية .

ويقال إن ميزانية البريد فى عهد العباسيين بلغت نحو ١٦٠ الف دينار ، وكان للبريد ديوان كبير فى بغداد وكان هـذا النظام نظاماً رسمياً خاصا بأعمال الدولة ، وليس لنقل مراسلات الجمهور ، فكانت الدواب لا ينتفع بها غير العمال خدم الدولة فقط وكانت البغال والإبل والحمام الزاجل وسائل نقل البريد .

مكتبتنا العربية

وقد أصبح للبريد أهمية أخرى فيؤثر عن المنصور أنه قال : « ما كان أحوجنى إلى أن يكون على بابى أربعة نفر ، لا يكون على بابى أعفّ منهم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين من هم ؟ قال : هم أركان الملك . لا يصلح الملك إلا بهم ، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم ، إن نقصت واحدة وهى ، أما أحدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية ، فإنى عن ظلمها غنى ، والرابع ... ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول فى كل مرة : آه آه قيل له : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب إلىّ بخبر هؤلاء على الصحة » (الطبرى ج ١ ص ٢٩٧) .

فكأن ولاة البريد إذن عيونا للمنصور ، وبواسطتهم كان يقف على أعمال الولاة بل كان ولاة البريد يوافونه بالأسعار من قمح وحبوب وأدم ومأكولات وغيرها ـ وقد كان عمال البريد يوافونه بذلك مرتين فى اليوم ، فإذا صلى المغرب وافوه بما حدث طول النهار . وإذا صلى الصبح وافوه بما حدث فى الليل .

وقد كتب إليه عامل البريد عن واليـــه فى حضرموت أنه يكثر الخروج فى طلب الصيد . فكتب إلى هذا الوالى : ثكلتك أمك ، وعدمتك عشيرتك ! ما هذه العدة التى أعددتها للكتابة فى الوحش ؟ إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين ولم تستكفك أمور الوحش . سلم ما كنت تلى من عملنا إلى فلان بن فلان ، وألحق بأهلك مذموماً مدحوراً » (الطبرى ج ٩ ص ٢٩٧) .

وهكذا كان فى كل إقليم عامل بريد إذا وجد أمراً هاماً يرسل إلى صاحب البريد فى بغداد وهذا يبلغ الخليفة ، فأصبح عمال البريد لهم صفة الجاسوسية على ما يجرى فى الدولة وإطلاع الخليفة فى الحال عما يحدث فى الأقاليم ، وكان نظام الجاسوسية موجوداً فى الدولة الفارسية القديمة وكان هذا مما ورثه العباسيون عن الفرس ، ودولة واسعة مستبدة الحكم محتاجه إلى هذا النظام من الجاسوسية وعهدنا بالدولة العثمانية قريب حينما انتشرت فيها الجاسوسية ، لذلك لم يكن البريد مجرد نقل رسائل ولكنه تجاوز ذلك الى الجاسوسية لمراقبة عمال الدولة على وجه خاص .

مكتبتنا العربية

القصة بين الذاتية والموضوعية

لحضرة الأستاذ حمزه محمد الشيخ
ليسانسيه فى الأدب الانجليزى
من جامعة فؤاد الأول

يهدف القصصى ، مهما تشعب به الابتكار فى ميدان الفكرة ، إلى تصوير أحداث أو وصف أشياء . ويمتاز النثر الذى يصور الأحداث بامتلائه بالحركة والسرعة ، وأما النثر الذى يتناول الأشياء بالوصف ، فيمعن صاحبه فى مراقبتها عن كثب ، حتى ينتقل إلى القارىء حقيقتها الأصيلة ، فى غير تفريط أو إفراط ، ويتسم هذا النوع الأخير بسلبية الطابع وفتور الحركة . وسواء اتجه القصصى فى فنه الاتجاه الأول أو الثانى أو كليهما ، فانه إنما يرمى إلى صوغ ما يسمعه ومايراه ، وما يعتلج فى قلبه من مشاعر ، فى رموز تيسر له نقل التأثير الذى خلفته المرئيات فى نفسه إلى القارىء . . . وتلك الرموز ، وهى الألفاظ التى تعين القصصى على تحقيق الوضوح العينى الذى ينشده ، قد يحسن القصصى استخدامها ، فيستطيع تصوير الأحداث فى سرعتها ، ووصف الأشياء فى حقائقها ، تصويراً تسوده الدقة ، ووصفا لا تنقصه الأمانة ، كما أنه قد يسيء استخدام تلك الألفاظ ، فيتهافت عليها ، ويسرف فيها بقصد الزينة ، ومن ثم يجد زمام القصة قد أفلت من يده فأصبحت الأحداث تمضى فى بطء سقيم ، وتراخ ممل ، والأشياء شوهت معالمها ، فأضحت أدنى إلى الخيال منها إلى الواقع .

وهذه النزعة نحو التنميق elaboration ، والتوشية decoration فى الوصف القصصى ، إنما تعزى إلى نقص كامن فى النفس البشرية ، يدفعها دفعا نحو مزج الذات بكل أمر موضوعى ، ومن هنا كان تفاوت القصصيين فى طغيان شخصياتهم أو اعتدالها وتوازنها فى كتاباتهم .

ووجه الشبه كبير بين فنون كالموسيقى ، والرسم ، والتصوير ، وبين القصة الأدبية ، فللقصصي مدى يصل إليه ، وأفق يجول فيه ، بيد أن ذلك يختلف – إلى حد ما – عن مدى آلة التصوير ، إذ أن القصصي يختار من نماذجه ، وينتقي من شخصياته ، ما يشاء مما يقع تحت ناظريه من بساط الحياة الفسيح ... أما آلة التصوير ، فلا يملك صاحبها مثل هذه الحرية الإيجابية فى الاختيار ، إذ أن جهده الفني ينتهي باختياره للمنظر الذى يروقه ، وتثبيته لآلة التصوير ، التى تأخذ فى نقل تفاصيل المنظر ، وإن كانت لا ترتاح إليها عين المصور ؛ ومن ثم كان القصصي أكثر حرية من المصور فى الاختيار ، وأقدر على تصفية نماذجه ، وتهذيب شخصياته وإننا لنجد القصصيين يتراوحون حول فن التصوير قرباً وبعداً ، فكلما قرب القصصي من المصور كان موضوعي النزعة ، وكلما بعد عن المصور فى فنه كان ذاتي النزعة .

وفى الحق إنه لينذر أن نجد قصصياً يعنى بفكرته theme ، ويهتم بها أكثر من عنايته بمشاعره وآرائه الخاصة . ولكننا لو علمنا أن القصة ، فى جوهرها ، ليست تعبيراً عن نفس صاحبها ، أو ابرازاً لميولها الذاتية ، وإنما هى تخاطب جمهوراً من القراء ... لو علمنا ذلك ، للمسنا حاجة القصة إلى دقة الوصف والتصوير ، وإلى خلوها من الشرح والتعليق .

ويتوقف جزء كبير من نجاح القصصي على انتقاء موضوعه ، وهذا هو الجانب الإيجابي للاختيار ، وكذلك من الأهمية بمكان ترك الموضوعات التى لا تتلاءم مع القصة ، وهذا هو الجانب السلبي للاختيار ، الذى لو عنى به كثير من القصصيين المعاصرين ، لكانوا اليوم فى الصف الأول من حماة القصة ، والقائمين عليها ، إذ قلما نرى اليوم قاصاً ، إلا وينفق من وقته وجهده ، الكثير على السطحيات externals ، بينما يهمل إهمالا مشيناً الجوهريات essentials ، فيصف شخصياته وصفاً سطحياً ، نعرف منه حياتهم معرفة يسيرة ، فأما أنفسهم وضمائرهم ، وما يضطرب فى الأولى من خلجات وآمال ، وما يكمن فى الثانية من نجوى وأسرار ، تنعكس على أسارير صاحبها ، فيخفيها فى ابتسامة مغتصبة ، أو فى ضحكة مريرة – فأما كل ذلك فإننا لا نجد إليه سبيلا ، أو نعثر منه على النذر اليسير ، الذى لا يشفى غلة ، ولا يسد فراغاً .

مكتبتنا العربية

وليس حسن الاختيار للموضوع وحده كافياً لكى يستطيع القاص أن ينتج أثراً أدبياً قيما ، وإنما يكون ذلك نتيجة للتوافق بين الفكرة ومزاج الكاتب ، مما يمهد له طريق الابداع فى نتاجه الفكرى ، مهما بعدت خاتمته ؛ أما تجارب القاص ، فإنها مهما كانت واسعة المدى أو فسيحة المجال ، فلن يصل إلى أعماق شخصيته ، أو يشحذ قوته الخالقة ، غير القليل من تلك التجارب ، التى يجد فيها خياله مسرحه الخصيب وميدانه الرحيب ، وهذه المسارب الضيقة ، من تجارب القاص ، هى التى تعنيه كفنان ، لأنها قوام أفقه ، فأما ما خلا ذلك من تجارب ، فلايهمه من أمرها شيء ، إلا ككائن حى تعرض له شتى ألوانها . . . وما ذلك إلا لأن الفناص لا يستقبل تجاربه استقبالا سلبياً ، وإنما يعمل فيها عقله اللماح وعينه الفاحصة . . . ومن ثم يمكن القول بأن شخصيات القصة إنما تنشأ عن نواة صغيرة تستقر فى تربة خصبة يرويها خيال القاص ويغذيها العقل وتجارب الصبا .

وقد عانى النثر القصصى فى انجلترا خلال القرن الثامن عشر الشيء الكثير من ذاتية الكتاب الطاغية ، التى ما برحت تبرز واضحة فى تعليق القصصى ، أو نظرة جانبية فرعية side-glance أو تأملات فلسفية تعترض سير القصة ، كما وجدنا لورنس ستيرن (١٧١٣ — ٦٨) sterne فى قصته (Tristram Shandy) ينتهز كل أمر جل أوهان لكى يحيد عن محور القصة ، ويتمرب منه فى هذا المضمار صمويل بتلر Butler فى قصته (The Way of all Tlesh) . ومثل هذا الاتجاه فى كتابة القصة ، وإن كان يزيدها امتاعا ، نظرا لطرافة موضوعاتها وتنوعها ، بيد أنه يغض من قيمتها الفنية ، إذ أنها تفقد أحداثها وحدتها ، ويخلو أسلوبها من القصد فى التعبير ، والاستواء فى العبارة .

وقد تطغى الذاتيـــة على نفسية الأديب ، فيحاول أن يستجيب لها فى شتى صورها ، وربما بالغ الأديب فى ذلك ، فأفرط فى استخدام المحسنات البديعية من تورية pun ، وطباق antithesis ، وجناس alliteration حتى تغدو اللوحة الفنية ، التى يجهد نفسه فى رسمها ، شوهاء منفرة لما خالطها من صنعة وكلفة mannerism ، وهذه المحسنات البديعية كالنار ، فهى خادم صالح وسيد طالح ، فإن أحسن الفنان استخدامها ـ كما فعل وليم شكسبير ، عاهل الأدب الانجليزى ،

مكتبتنا العربية

فى مقطوعاته الشعرية القصيرة sonnets ، التى زاوج فيهـــا بين المعنى والمبنى ، وجانس بين ظلال الصورة وإطارها ـ إن فعل الأديب ذلك ، أصبحت تلك المحسنات عينها إحدى مقومات البناء الفنى للنتاج الأدبى التى لا غناء عنها للأديب لـكى يعبر بها عن حالات شخصياته النفسية واتجاهاتهم الفكرية .

أما إن أساء الأديب استخدامها ، شأن الكثيرين من الأدباء الناشئين ، فإنه سرعان ما يجد نفسه كالعجوز التى تحاول يائسة ، ستر جمالها الذاوى بشتى أصناف العطور ، وسائر ألوان المساحيق والأصباغ لـكى تثير فى النفوس الرغبة فيهـا والعجب بها . . . ولن يلقى الأديب هو الآخر من قرائه رغبة فى نتاجه أو اعجابا به ، فقد اصطلح الناس اليوم على بغض الزيف ، والمبالغة ، والصنعة الجارفة التى تجافى الذوق الأدبى السليم . والتى لا نعثر عليهـا اليوم إلا فى تضاعيف فن الدعاية والإعلان . أما فى الأدب الرفيع ، فإن المذهب الذى لن يخبو نوره ، والذى أصدر عنـه كبار الفنانين ، مهما اختلف مصدر ثقافتهم أو تباين نوعها ، هو أن قوام الفن ستر بريقه المصنوع ، واخفاء وهجه الخاطف أو كما يقال فى اللغة اللاتينية ars est celare artem .

ولعل أسوء ما تلقاه القصة الأدبية على أيدى الفنان غير المطبوع ، هو استلهامه لذاتيته الطاغية ـ عن قصد أو غير قصد ـ حتى يجد نفسه يعلو ويهبط ، ويسير يمينا وشمالا ، حسبما يتجه به تياره الفكرى . لا كما يوجهه موضوع القصة ، والمحور الذى تدور حوله أحداثها ومرئياتها . . . ونحن بعد ذلك كله قد نستطيع أن نغفر للقصصى أن يتراوح بين دفتى القصة ، قرباً من الموضوع ، وبعداً عنه ، لو أن القصة لم تكن شيئاً آخر غير الموضوع . . . أما والقصة صورة فنية للحياة حولنا ، فلذلك وجب أن تتوافر فيها عناصر أخرى إلى جانب المشابهة likenss ، كالبراعة فى رسم القـالب أو الاطار frame ، والأناقة فى صوغ التصميم design ، والدقة فى إخراج الانشاء الفنى compostion . . .

وهذه العناصر جميعا لو توفرت للقصصى ، بعد نجاحه فى اختيار موضوعه ، وحرصه على توازن عنصرى الذاتية والموضوعية فى قصته ، لاستطاع أن يقـدم للقارىء الانشـائى creative reader نسيجاً متجانساً مؤتلفاً ، ويعرض أمام ناظريه ، موكبا حافلا متصلا ، ما يكاد يفرغ من استعراض صفحاته ، حتى يتمثله فى مخيلته صوراً مفعمة بالحياة والانسجام .

حول مقال :

سوف أعود إلى الأرض

لحضرة الأستاذ محمد اسماعيل الشلبي

تركت إدارة مجلة الهلال الغراء للقراء رأيهم فيما ذهب إليه حضرة صاحب العزة محمد توفيق دياب بك من عقيدة وآراء بثها عزته فى مقاله فى هلال ديسمبر الماضى تحت عنوان : (سوف أعود إلى الأرض) .

البحث العلمى والحقيقة الدينية الإسلامية :

من المقرر الثابت أنه سوف يأتى اليوم الذى فيه تكشف الفتوحات العلمية عن حقائق تجعل العقل والقلب معا يقران بما جاء به الإسلام من حقائق . وما جاء به المقال (سوف أعود إلى الأرض) لم يثبت علميا ولم يثبت دينيا .

لم يثبت دينيا إسلاميا :

قال الله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) أى معنى نبيل تتركه هذه الآية وترسخه فى ساحة النفس المؤمنة ، إن صاحبها إذا ما رسخ هذا المعنى فى صدره فسوف يلقى الحياة بأكبر قسط من التفاؤل والأمل الفسيح الغلاب للصعاب وفى ذلك سر نجاح الفرد فى دنياه ، ودليل سعادته فى أخراه ، ولذا يقول على كرم الله وجهه : هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن . لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب مرة ثانية وإذا عفا لا يعود .

هذه العقيدة السليمة فى آلام الحياة وشدائدها ، وهى ذات أثر فى الفرد والجماعة والذود عن حمى الوطن . ولقد علمنا من هذا أن فى الشدائد دروسا وعظات ، وبها يظهر السر الدفين وتستيقظ الشجاعة الكمينة مرسلة ضوءها خارج النفس فتكون الشجاعة ، ويكون الإحسان ، ويكون الإنصاف والعطف ،

مكتبتنا العربية

وهل تتقدح الفضائل إلا بزمام الحوادث والتجارب ، وهل قويت عزائمنا ومتنت إلا عن طريق المصائب .

قال أهل الرجعة أو التناسخ : لقد عرفنا الآية أن المصائب أجزية على الذنوب فما بال الأطفال تتألم ولم تصبهم المصائب والفجائع ، وهل جنوا ذنبا ؟ لم هذا فقير جدا وهذا غنى جدا ؟

أما جواب السادة العلماء الذين تعلم منهم صاحب المقال (سوف أعود إلى الأرض) فكأنى بهم من شيوخ قرية متزمتين ، إذ كانوا يصيحون فى وجهه السائل بقوله (لا يسأل عما يفعل) . وهو بحق لا يقتنع بما قالوا له . ولذا فتش عن العدالة الالهية فلم يجدها إلا فى الرجعة إلى الأرض ، ولعل المرء إذا كبرت سنه وقارب أجله ، اتخذ من هذه العقيدة ما يطمئنه بالرجعة إلى الأرض ، ولو علم أن فى العالم الآخر ما هو أبهى وأبهر لقال (والله لا أرجع إليها أبداً) .

نعم لا يسأل الله عما يفعل . لأن فعله بالغ الحكمة وفى منتهى الدقة . ليس فيه خلل وليس فيه ما يدعو إلى السؤال ، فهو لذلك (لا يسأل عما يفعل) وعلى العقل مستعينا بالله أن يتفهم هذه العدالة الالهية ، وهو يقررها فى آية أخرى ، فيقول فى التفاوت المالى الظاهر بين الناس : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) ويقول فى أن الناس طبقات بعضها فوق بعض ، وما من يد إلا وفوقها يد الله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) .

وهذه القصة بالغة الحكمة كاملة العدالة . ومثل ذلك يقال فى آلام الأطفال ولم يجنوا ذنباً . فما العدالة الإلهية فى ذلك . تلك هى الضريبة يؤديها الآباء والأمهات ومن يتصلون بأولئك الأطفال المتألمين يؤدونها لتكفر ذنوبهم (أى ذنوب الآباء) لتألمهم لمرض أبنائهم ، أو لحكم يعلمها الله ، وقد جعلها الله ميداناً للعقول ، تتنافس لفهم أسرارها . وربما صحت الأبدان بالعلل « والله بعباده خبير بصير » .

وإذا فرضنا أن الناس كان لهم وجود سابق وأذنبوا فيه ، فما الذنب إلا من النظر فى النفس ولو كانت كاملة ما أذنبت . فلو قيل أن نقصها نشأ من الذنب

مكتبتنا العربية

السابق قلنا : إن ذلك يلزم التسلسل وهو مستحيل . ومذهب الرجعة لايستقيم إلا إذا فرضنا أن عدداً من الأرواح تلبس ملايين الأجنة البشرية ، ومع دوارة صاعدة هابطة . وهو ما لم يقل به أحد . وإلا فبماذا ترى فى الروح الإنسانى الكامل الذى يتنكر فى عهد المظلمات فى شخص كشخص سيدنا نوح عليه السلام أو نبى من الأنبياء — كم جسما خلعه وكم جسما لبسه ، وعلى أى جسم يقع العذاب . إن قلنا العذاب للروح فكيف يعذب نبى ، وإن قلنا للجسم فكيف لا تباركه روح نبى . وإن قلنا لهما معاً فكيف بذلك جميعاً ، أنا لازلت طالب يقين فى عقيـــدة توفيق بك دياب . فما يتمين عزته فى هذا الإشكال .

أسألك يا سيدى . ماذا تقول فى مسئولية الجزاء وتقرير التبعية الشخصية فى قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لاتتحمل نفس مذنبه ذنب نفس أخرى وقد قلت سيدى ، إن ألوف الملايين من الأرواح تتقمص ألوف الملايين من الأجسام منذ بدء الخليقـــة البشرية إلى منتهاها ، وذلك يناقض عقيدة الإسلام فى البعث والنشور وإلا فكيف يحاسب الناس .

وإذا صح ما تقول سيدى فى عقيدة الرجعة . فإن لكل جسم اسما ينادى به فبأى اسم ينادى به الشخص . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى حديثه الصحيح (أحسنوا أسماءكم فإن الله يناديكم بها يوم القيامة) .

ما تقول سيدى فى قوله تعالى (إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) (لأنهم استكانوا للعبودية ورضخوا لجبابرة العلم) فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ـ أى لتطلبوا حرماتكم وكرامتكم ـ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) .

فهل جهنم هى الأرض إذا عادت إليها الروح مرة أخرى فى جسم آخر غير جسم الأول .

الحق يقال أن مذهب الرجعة لا يستقيم إلا إذا هدمنا جانباً كبيراً من أركان الإسلام . فليس بصحيح ما قلته (إن هذه العقيدة لا تناقض الدين الإسلامى الحنيف فى شىء . ولا تناقض المسيحية . . . الخ .

مكتبتنا العربية

ثم أيمكن أن يدرك أساطين المؤمنين بعقيدتك هذه مالا تدركه العفيف الحصان مريم ابنة عمران عندما قالت (يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فلو سبق وجودها موت ـ كما يقول أصحاب عزتك ما تمنت . وأنا أسألك ما رأى أخوتنا الأقباط فى عقيدة توفيق بك .

ما رأيك سيدى فى الآية (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) فهى موتة واحد وحياة واحـــدة نحياها فى الدنيا ، ثم ننتقل إلى العالم الآخر يذوق موتة واحدة .

أما عقيدة الرجعة فيقول أحد أساطينها فى مقاله (الجسد ثوب تلبسه الروح زمانا ثم تلقيه) وتعود (أى بعد موته) إلى أمهتها ومصدرها ، ويقول انحدرت إلى الأرض مرة أخرى لتلبس ثوبا جديداً فى شخص جنين من ألوف الأجنة التى تولد فى جنبات الأرض فى الشرق والغرب ـــ وهكذا رجعة بعد رجعة .

فكم رجعة وكم موتة ، آلاف الرجعات وآلاف الموتات ، والآية تمرر (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مصدر الإنسان ورجعاته ومصدره :

إن الله قد استأثر بعلم مصدر النفوس ومصيرها إذ يقول (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) فماذا فى علم الله المنزل فى كتاب الاسلام حتى يطمئن أستاذنا دياب بك .

إليك يا سيدى نبذة موجزة عن العقيدة التى قررها الإسلام عن « مصدر الإنسان ورجعاته ومصيره » .

— ١ —

الانسان يسمو إلى ربه بعد معارك جبارة عاتية ، قال تعالى (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) . وهذا الكدح تفسره الآية فى نفس السورة والقرآن يفسر بعضه بعضا قال تعالى (لتركبن عبقا عن طبق) بمعنى أنكم يا بنى الإنسان تمرون فى دور بعد دور . وهذه الأدوار يذكرها الله مجملة فى قوله (وقد خلقكم أطوارا) فما تفصيلها .

مكتبتنا العربية

(١) قل الروح من أمر ربى .
(٢) هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض .
(٣) وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم .

٤ — والدور الرابع . بعد التسوية فى تلك البطون من نطفة إلى علقة ـ الخ وفيه يقول الله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) فكيف يعلم بعض من أمن بالرجعة (مولدهم وميتاتهم الماضية وفى أى بلد من البلدان عاشوا حياة بعد حياة وإلى أى الآباء انتسبوا وأى اللغات تكلموا وأى الصناعات أو الأعمال اتخذوا وهل ذكورا كانوا أو إناثا فى كل رجعة من رجعاتهم إلى الدنيا ليستأنفوا فيها الحياة) بالنص من مقال توفيق بك) والله يقول (أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) هذا هو التناقض . . .

٥ — الدور الخامس هو ما يشير اليه تعالى بعد انتقال الروح (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) فالأرواح تكون فى برازخها أو الصور أو الناقور كما قرر القرآن . حتى إذا قامت القيامة الكبرى تزاوجت الأرواح مع أبدانها بعد أن كانت مفردة كما قال تعالى (وإذا النفوس زوجت) وليس المقال متسع لتفصيل هذه المعانى .

٦ — الدور السادس يشير إلى قوله سبحانه (وجاءت كل نفس معها (من قبرها وبرزخها) سائق وشهيد . لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

٧ — الدور الأكبر (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أما المحسنون فى رسالتهم فى حياتهم فإن الملائكة تستقبلهم أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) .

هذه نبذة موجزة عن العقيدة التى أومن بها فى مصدر الإنسان ومصيره .

إلى الشباب : همسة فى آذانهم

قرأنا فى كتب التاريخ أن مذهب الرجعة أو التناسخ شاع فى المجتمعات المتحللة الأخلاق وأن ضرره أكثر من نفعه فهو مضيع لذاتية الشخص ميسر للعدو دوس أوطاننا .

مكتبتنا العربية

إن مذهب الرجعة يرمى عن قوس أهل الأهواء والنحل . ونحن أحوج ما نكون فى الحاضر لمقاييس علمية صحيحة ومضابط خلقية صادقة لنرفع شأن الوطن .

وإذا كان (شوبنهور) من أساطين المؤمنين بعقيدة الرجعة فى العصر الحاضر فإن ذلك لا يخدعنا عما يراد بنا . فإن تيارات الغرب المستعمر ، ونظرياته الملحدة امتداد لسياستهم المحيطة لأعمالنا . تلك السياسات وهذه التيارات قد حولت أعناق خنازير وأفئدة من كتابنا اليها ولكن من (أبدى صفحته للحق هلك) .

وإن الباحث المحقق ليعلم حق العلم موقف تلك العقائد الزائفة من آمالنا القومية . فإذا كان المعتقد بالرجعة أى بتناسخ الأرواح فقد يعود إلى الأرض فى ثوب انجليزى أو صهيونى . . . وإذاً فلا ضرورة لجلاء ولا لزوم لمناداة بتهديم الصهيونية ونخرج من هذا أنه لا بقاء لقوميتنا وذلك كله ناتج من التسليم للعقائد الهدامة لأركان وطنيتنا .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

يا شباب العصر :

روح الجهاد فيكم أو جهاد الروح منكم أن تكونوا أنفسكم على عقيدة سليمة ذات أثر فعال . وتحموا وطنا حراً قويا ينقذ العالم من التردى فى سقطات الزائفين . وأن تنبعث انسانيتكم السامية واقفة عند أمر ربها (كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) .

يا شباب العصر : إن قيل لكم إنكم ستعودون إلى الأرض (كما زعم فيثاغورس أوسقراط قديماً وشوبنهور حديثاً) فقولوا أنتم : إننا سنعود إلى الله وعندكم دليلان قويان مقنعان ، ممتعان مشبعان ، (الأول) جاء ثوبان الفارسى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أين أنا إذا مت . فنزلت الآيتان الكريمتان جواباً عن سؤاله « ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » سورة النساء .

مكتبتنا العربية

مشكلات المدنية الحديثة

لفضيلة الأستاذ سعد الدين موسى

عدت علينا مدنية الغرب بخيلها ورجلها ، ومركبتها الطائشة ، وسيولها الجوارف ، فأزعجتنا نحن الشرقيين من رخاء عيشنا وطيب أحلامنا ، وأذهبت عنا روح الطمأنينة والامتاع ، ونسائم الهدوء والاستقرار ! . وبدلت بخضراء الحياة صحراءها ، فلم نعد نستمرىء طعم الراحة وأمنة النعاس ، ولا نحس روح الطبيعة ولا نستشعر لمسة النعيم ! . وكأننا فى ليل كافر لا نهار معه ، أوشتاء دميع لاابتسام له ! فما السر فى هذا جميعه ؟ هل المدنية الأوربية تتصادم مع مدنية الإسلام فتسير عكس اتجاهها ، وتسعى واياها على طرفى نقيض ؟ ذلك ما نريد أن نبحثه وندلل عليه .. إن الدين الإسلامى فى الواقع قد جمع كل ما تفرق فى المدنيات والديانات الأخرى من محاسن وروائع إن لم يكن قـــد أربى عليها .. فلم يأمر بالرهبنة والانقطاع إلى النسك بكهف أو دير أو رأس جبل ، ولم يحض على ترك الناحية الإيجابية لعمارة الدنيا ، واستغلال قوى الكون واستثمار أرحام الأرض ، وطرح المعاش جانبا كما قالت المسيحية ، ولم يفرض على معتنقيه أن يتكالبوا على موائد الرزق وحلبة القوت ، وحطام المتاع ، وزخرف الوجود ، كأنهم حيوانات سائمة لا هدف لها فى الحياة ولا مرمى إلا الطعام والسفاد والفراش والشراب والمرعى بل جاء وسطا معتدلا بين رغائب الروح والجسد ، وغذاء الفكر ومشتهيات المعدة ولكننا لو نظرنا نظرة فاحصة جدية إلى المدنية الحديثة اليوم وهى وليدة المعامل الأوربية لا الأفكار الروحية ولا المواريث السماوية ، لوجدناها تتجه صوب المادية الجسدية المتاعية اتجاها ملموسا فى ظواهر الأشياء وسطوحها ، بل تعدت إلى أسوار الباطن منها فخرقتها عن مواضعها ، وزلزلتها عن مستقرها ، وكيفتها بميولها وأهوائها ، وصبغتها بألوانها وظلالها .

مكتبتنا العربية

وإلا فمن أين جاءتنا الأصباغ والمساحيق وأدوات التطرية والنعومة النسائية ؟ ومن أين كثرت حوادث انتحار الشباب وتفاقم التفكير فيه ؟

لقد نجمت من هنا مشاكل مستعصيات وعقد معقدات فى التعليم والسلوك والأخلاق ، والغرائز والنفسيات .

كما حدثت مشاكل أخرى فى صميم الحيوات والنظريات وأمهات المسائل المعنوية والاقتصادية والعلمانية ، كالمذاهب الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية ، وكنظام الدكتاتورية والارستقراطية والديموقراطية الخ . وكتنظيم الأسرة ورعاية الأفراد وكفالة الجماعات ، وتنشئة الأطفال وسياسة النساء وتأمين الحقوق ، والحياة الزوجية ! وهل غرس فى أرضنا بذرة النالوث الأصفر « الجهل والفقر والمرض » إلا يد هذه المدنية ومحاكاتها دون تمييز النافع والضار منها . حتى قطعت على الشعراء أخيلتها الناعمة ، وعلى الفلاسفة أحلامها السابحة ، وعلى العلماء والباحثين طرائق علمهم ومناهج تفكيرهم ، واصطدمت مع بعض الحقائق الكونية وسدت على الناس منافذ الآفاق الروحية ومناجم السعادة النفسية . . ألم يكن فى الديانة الإسلامية غنية وكفاية لحل هذه المشكلات التى خلفها لنا ركب المدنية المعاصر بعامل الالتصاق والمجاورة ؟ ألم يكن فيها من الأنظمة القويمة والبلاسم الناجعة ما هو كفيل بسعادة المجتمع البشرى ورفاهة العالم جميعاً ؟ لقد كان سلفنا فى ثروة روحية عظمى باتباعهم خطوات هذا الدين العالمى الخالد « الإسلام » ولم يكن فى عصورهم من هو أسعد منهم حالا كما لم يكونوا فقراء من المدنية والحضارة مثلما يحسب الجاهلون ، بل كانوا أغنم منا حظاً وأهدى بصيرة وبصراً . وهل لمتفلسف متشكك أن يجادلنا فى مساوىء المدنية القائمة ومخازيها أو يجادل عنها ؟! حتماً لقد ربطت المشارق بالمغارب .

ولقحت الأفكار وغزت مناطق الشعور فى الإنسان ، وفتحت باب العلم المدنى والصراع الجدلى ، والنظر المحلق على مصراعيـــة حتى كانت المدهشات الغرائب من الكشوف والابتكارات ، والاختراع والتجديد فى كل مضمار وميدان ، ولم نعد فى قرن السلحفاة أو الناقة والجمل ، بل فى عصر الذرة والطائرة واللاسلكى والكهرباء ، وحتماً إنها سخرت كل طاقة صغيرة وكبيرة عل سطح

مكتبتنا العربية

الكرة أو فى ساريات الجو أو أجواف البحار فانتعشت الحضارة وانتفعت البشرية ـ وتغلغلت بمنظارها المكبر إلى خبيئات النفوس وأعماق السرائر فتعددت الفنون وأطردت الصناعات واستبحر العمران وتمدمت الأذهان .

ولكن أليس ذلك كله عن طريق المادة ودولابها الحديدى وعجلاتها الطاحنة وآلاتها الجوامد الصماء ؟ وهل كان ذلك إلا ابتغاء إطفاء سعار الجوع وإسكات صراخ الأمعاء وإشمال وقود الأوطار الترابية الأرضية ؟ فهل انطفأت الحرقة أو سكت الصراخ أو أقلت من طغيانها وبغيها الأنانية والنفعية ؟ كلا بل لمسنا فى سبيل هذه المدنية الآلية كبكبة وقلقاً ، واضطرابا وعتماً نفسانية ، ومشكلات قامت وقعدت ، وبسائط عميت وعتمدت . . . فهذا شبح الطاعية البغيض ، وتيار الحسد والشحناء يحض على الجريمة النكراء ويغرى بالمنكر والفحشاء .

ويحبب الى المرء روح التذمر والثورة والتمرد والسخط على كل نظام . فكان بيننا البغاء والربا والخمر واليانصيب والميسر ، وكان الظلام المطبق والحيرة النائمة المهلكة ، ونشأت شركات التأمين على الحياة والنفس لأن الإنسان لم يعد إنسانا بمدلوله الشرعي واللغوى ، بل وحشا من بنات الغاب فكيف يؤمن على الأموال والأعراض والأنساب ؟ ووضعت المحاكم والسجون والقضايا والمرافعات من جراء القتل والسرقات والخيانات والاتهامات ! وكسدت سوق الزواج وذاع الطلاق وفشت الإباحية الإلحادية ، والحرية الهوجاء المتحللة من قانون العرف والخلق والفضيلة ! . ومن ثم نشأت الحروب واندلعت ألسنة الفتنة ، وهبت الثورات والأحقاد كالعواصف الجامحة ، تزلزل غربال الأرض ، وتطفىء مصباح السلم ، . وتهصر غصن الزيتون ، وتميت بسمات الربيع ، وتلفع الشمس بعباءتها الدكناء ؟ ! ولماذا عبث الاحتلال بالحرمات والكرامات فأكلت الأمم القوية المستعبدة الأمم الضعيفة المغلوبة على أمرها لعمرى وعمر أبيك ما خلق هذه الأدواء جميعا ، وأضعاف أضعافها إلا هـــذه المدنية الزائفة . . المادية الخليعة . . وبقدر ما سعينا نحوها مأخوذين بلمعة سرابها ، وسحر بريقها ، بقدر ما خلت أفئدتنا من العقيدة الصحيحة والإيمان بقوى السماء وقدرة الصانع البديع ، والبحث عن كنوز التوحيد والمعرفة الإلهية والرحمة والحكمة والإيثار والتقوى .

مكتبتنا العربية

وانصرفنا بكليتنا عن الروحانية الصافية العميقة والعبادة المشرقة الطليقة ، وما عدنا نقيم الشعائر والمناسك إلا فى كسل وفتور وارتخاء أعصاب ! . وهى فى مجتمعنا اليوم عبارة عن ظلال ميتة وأشباح هزلى لا روح فيها ولا ذماء تؤديها كمراسيم دولية أو شكليات عرفية ! . . ومن ذا الذى يفرغ من الجلبة والضوضاء آنات معدودة من سواد الليل أو بياض النهار للمناجاة والتفكر والصلاة والاعتصام بحبل السماء ؟ . ومن منا أمسى يفكر فى بر أو مرحمة أو تزكية وإحسان ؟. يخجلنى ويخجل القلم فى يدى أن أقول : إننا أصبحنا تحت تأثير هذه المدنيات الغربية الحمق نعد من مظاهر التأخر والرجعية والتخلف والجمود أن ننادى بتقنين الشريعة وعودة حدودها إلى الأرض بعد طول غربتها ، وكيف ونحن فى حمى القانون الفرنسى نتطلق أحرار الفكر والرأى والعقيدة بلا حسيب أو رقيب ؟ ! .

وهكذا أحسسنا فى هذا العصر بلهيب الحرمان ومجاعة الوجدان ودافع الحاجة ومرارة اللوعة والخزيان . . نعم أحسسنا الحاجة إلى الرجوع لمعين الإسلام وطرق مصراع السماء والتطلع إلى أعلى ! . ذلك لأن المدنية الحديثة قد ألهبت ظهورنا بسياط نارية إلى غير إشراق أو متاع أو استقرار إلى حيث الهاوية والتطاحن والأزمات المبيدات ! . . فظمئت أنفسنا من المعرفة الوجدانية ، وقحلت أرواحنا إلى النبع السماوى الدافق الفياض ، يبدل غلتها ريّا ، ويأسو جراحها ويمسح آلامها ويتيم على أطلال خوفها واضطرابها صرح هنائها وأمنها وسلامها !. أمّا هذه الحركة الدائبة المقعقعة ، والتسرع المجنون الأحمق الذى جعلنا نتندر ونسخر بالمتأنى المتمهل قائلين : نحن فى عصر السرعة . . . والذى صرفنا عن دين محمد وروحانية الشرق وتراث العروبة ، وميراث الحق وكتاب الخلود إلى الإسراف فى الشهوات والآمال والمطامع والرغاب فما لا يثمره حصيف ولا يرتضيه أريب ! ! فهل من عودة يا أمناء الإسلام ؟ . . وهل من بعث للشرق الميت من جديد ؟ ؟ !

مكتبتنا العربية

جماعة التبشير الاسلامى والاصلاح

بأم درمان « السودان »

عبد الله شوقى الأسد

كاتم السر

بقى جنوب السودان منذ آماد سحيقة فى عزلة عن العالم ، لم تعرف الحضارة إليه سبيلا بعلومها ونورها ، وظل أهله على فطرتهم الأولى حفاة عراة ، دينهم الوثنية ، وعلمهم الجهل ، وصلتهم بالعالم الخارجى مقطوعة ، وبشمال السودان مبتورة ألا ما يتسرب إليهم من رسالات التبشير المسيحية .

وما كانت حالتهم تلك ، لا لترضى إخوانهم ومواطنيهم فى شمال السودان ، فوطنوا العزم على الاتصال بهم ، والقيام نحوهم بما يمليه الدين ، وتفرضه الوطنية ، فأهل شمال السودان وجنوبه ، مواطنون تجمعهم صلة الوطن التى لا انفصام لها . ولهم على بعضهم البعض حقوق وواجبات . ومن حق أهل الجنوب على أهل الشمال أن يأخذوا بأيديهم ، ويعملوا على إسعادهم عملا يفرضه الدين وتمليه الوطنية .

لهذا حفت كلمة جماعة من كرام السودانيين ، ممن لهم مكانة مرموقة بين مواطنيهم ، وممن عرفوا بالتقوى والصلاح على تأسيس جمعية أسموها « جماعة التبشير الإسلامى والاصلاح » مقرها مدينة أم درمان ، وغرضها : القيام بنشر الإسلام وتعاليمه فى جنوب السودان ، وفى كافة أرجائه التى لم يصلها نور الدين الحنيف ، وقد اختارت لها لجنة تنفيذية مكونة من خمسة عشر عضواً .

مكتبتنا العربية

وعهدت برئاستها إلى صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين القرشى القاضى الشرعى سابقاً ، وأمانة سرها إلى حضرة الأستاذ عبد الله شوقى الأسد .

وتقدمت الهيئة بعد تكوينها إلى إدارة السودان طالبة التصريح لها بالقيام بمهمتها فصرحت لها بذلك ، وليس للهيئة أى غرض آخر غير هدفها الإسلامى الخالص ، تستوحى أعمالها بهدى القرآن ، وسنة السلف الصالح فى إعلاء كلمة الدين الحنيف متذرعة فى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، باذلة أقصى جهدها إلى نشر الوية الإسلام فى الجنوب .

بيد أن الوصول إلى الغايات الدينية الخالصة التى تزمع القيام بها ، ليست بالهينة الميسورة ، فأمام الهيئة عقبات تستوجب التذليل ، ووسائل يجب أن تتوفر ، وليس العمل فيها قاصراً على مسلمى السودان وحدهم ، ولكنه فرض عين على إخوانهم مسلمى شمال الوادى أيضاً ، بل والمسلمين فى كافة بقاع الأرض .

لهذا تتقدم الهيئة ، إلى كافة الهيئات والجماعات والأفراد فى وادى النيل طالبة التعاون معها ، وشد أزرها ، والمساهمة الشاملة فى نشر كلمة الله ، بما أمر الله وسار عليه رسوله الكريم .

والهيئة تستمد فى هذا العمل قوتها من عون الله ، ومن صدق نية العاملين فى سبيل الله ولله وحده ، وهى واثقة من أن عملها سيكلل بالنجاح ما خلصت النيات وصدقت الرغبات ، وهى مطمئنة إلى عون المسلمين فى وادى النيل عونا خالصاً مستمراً ، حتى تتحقق الغايات ويتم الله نوره ، ويخلص جنوب السودان من ظلمات الوثنية والجهل ، ويتذوق أهله حلاوة الإسلام وطعم الإيمان بإذن الله إنه سميع مجيب ؟

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

احتفال الأزهر بعيد الميلاد الملكى

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يحييه بخطبة

احتفلت البلاد المصرية يوم الإثنين الثانى عشر من شهر فبراير ، بعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة المعظم « فاروق الأول » ، فلبست جميعها حلة فاخرة من الزينات والأنوار ، وأذاع الراديو خطبة لحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء فى تعداد مناقب جلالته ، وسرد فضائله ؛ وائتنست جميع البلاد المصرية بعاصمتها فكانت البلاد فى عيد وطنى تبادل أهلها فيه التهانى والمسرات .

واحتفل الأزهر المعمور به . فاجتمع فيه ألوف من علية الطبقات فى مقدمتهم سعادة أحمد يوسف بك السكرتير المساعد الخاص موفداً من جلالة الملك ، فنهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم وألقى كلمة بليغة جامعة ، سرد فيها صفات جلالته ومواهبه وفضائله ، متمنياً لجلالته طول البقاء وأن يجعله الله ذخراً للبلاد ، وملاذاً لأهلها مدى الأيام .

وهذه خطبة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

اللهم إنا نحمدك حمد المؤمنين بك ، الخاضعين لعظمتك ، الشاكرين لنعمتك ، الراجين لرحمتك ، اللهم إنا نرغب إليك أن تصلى وتسلم على عبدك ورسولك ، وأمينك على وحيك وخيرتك من خلقك ، وخاتم أنبيائك سيدنا محمد الذى أرسلته رحمة للعالمين ، وإماماً للمتقين ، ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه وجاهدوا فى الله حق جهاده فاستخلفهم فى الأرض ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمناً ومن بعد ضعفهم قوة وعزا وسلطانا .

اللهم وفقنا إلى اتباعهم بإحسان ، وأحيِ فينا سنتهم واجعلها يا رب زادنا ونورنا فى معاشنا ومعادنا عليها نحيا وعليها نموت .

حضرة صاحب السعادة مندوب جلالة الملك المعظم :

أيها الإخوان : تحتفل الأمة المصرية الكريمة اليوم بعيد من أعز أعيادها القومية ، وهو عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول أطال الله فى عمره وأيده بتوفيقه ونصره .

وقد أراد الله جلت نعمته أن يضاعف للأمة فى هذا اليوم السعيد سرورها ويزيد فى غبطتها واستبشارها ، فوفق جلالة الملك المعظم — أعزه الله — إلى هذه الخطبة السعيدة المباركة ، فكان العيد بذلك عيدين وكانت الغبطة غبطتين .

وحق للأمة المصرية الكريمة أن تحتفل بأعياد الفاروق العظيم ، وأن تشاركه الفرح بما آتاه الله من نعمة ، وأن تحمد الله تعالى وتشكر له على أن ربط عزها ومجدها بجلالة الملك السعيد الموفق .

إن أسعد الملوك من سعدت به رعيته ، وقد أسعد الله هذه الأمة بجلالة مليكها الفاروق ، حيث اقترنت بميلاده الميمون نهضتها وتدرجت مع تدرجه فى عمره المبارك أسباب مجدها وعزتها .

وجدت النهضة المصرية القوية قبيل مولده الميمون ، وقد كانت مصر من قبل أمة تتنازعها عوامل الضعف والفساد من داخلها ، وعوامل الطمع والجشع من خارجها ، فلما أذن الله لنهضتها الكبرى أن تنجح ، كان ذلك مقترنا بمطلع الفاروق أعزه الله ، فرأى العالم يومئذ أمة فتية أبية مصممة على أن تنال حقها فى الحياة العزيزة الكريمة ، مجمعة على الجهاد فى سبيل ذلك بكل ما منحها الله من حول وقوة لا فرق بين شبابها وشيوخها ، ولا بين فقرائها وأغنيائها ، ولا بين حكامها ومحكوميها . روح من الله سرى فيها فأحياها وقواها وأيدها بالنصر المبين ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

ولم تكن هذه النهضة فى الناحية السياسية فحسب ، ولكنها نهضة قامت على أساس وطيد من الشعور بالعز والحرص على الكرامة والتمتع بما تتمتع به الأمم الحية من الاستقلال والحرية ، يؤازر ذلك برنامج صالح شامل فى شتى نواحى الإصلاح والتجديد فى التربية والتعليم ، فى المال والتجارة ، فى الزراعة والصناعة فى الاتصال بالعالم الخارجى لتبادل المنافع والمصالح ، فى الانتفاع بكل ما جد من اختراعات ووسائل إلى غير ذلك مما تحيا عليه الأمم ويقوم به مجدها وعظمتها .

مكتبتنا العربية

صاحبت هذه النهضة الإصلاحية مولانا الملك فاروقاً أعزه الله منذ كان فى المهد صبياً فاحتضنها المغفور له والده العظيم (طيب الله ثراه) كما احتضنه — فلقياً فى كنفه الرعاية كل الرعاية والحفاظ أعظم الحفاظ حتى أسداهما إلى الأمة المصرية الكريمة بل إلى الشرق كله هديتين كريمتين ، هما أعز ما يهديه ملك كريم إلى شعب كريم .

وها هو ذا الفاروق العظيم يتلقى تلكم النهضة من أبيه باليمين فيرعاها ويواصل سعيه الحميد فى تنميتها وتقويتها ويقف فى شأنها موقف القائد الحكيم يوجه العاملين ويكافىء المخلصين ويثير الهمم .

ويحيي العزائم وأنه لواصل بها إن شاء الله تعالى إلى ما يبتغيه لأمته من المجد والقوة والعظمة والنصر المبين .

أيها الاخوان :

هذا هو يمن الفاروق على مصر وتلك هى رعايته لنهضتها وأسباب مجدها وعظمتها وقد فاز الأزهر الشريف مما ذكرنا بأفضل حظ وأوفر نصيب واستطاع أن يسجل فى صفحات مجده تاريخاً حديثا مجيداً .

كان من يمن الفاروق على الأزهر أن وجه الله قلب والده العظيم إلى إصلاحه وتمكينه من أداء رسالته على خير الوجوه وأفضلها فأصدر طيب الله ثراه قوانينه الإصلاحية وعدّل مناهجه وزاد معاهده وأنشأ كلياته وأمر ببناء مدينة جامعية حديثة تليق به ورعى أهله أفضل رعاية وأكرمها وحرص على تقوية نزعة الدين والعلم فيهم وعلى بث روحها فى الأمة حتى تقوم نهضتها على أساس متين من الخلق والفضيلة والاعتزاز بالدين فاستجاب بذلك — جزاه الله أحسن الجزاء — لآمال طالما ساورت نفوس المصلحين وسعى فى سبيله سعيه المحمود فأسدى إلى الدين والعلم صنيعا مشكوراً أرجو ان يجعله الله له نوراً يوم يأتى المؤمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم .

وكان من رعاية الفاروق للأزهر أن سار على سنة والده العظيم فى العناية به والحدب على أهله والاهتمام بكل ما يعلى شأنه ويرفع قدره ويمكنه من تحقيق رسالته السامية فى خدمة الإسلام والمسلمين بل فى خدمة الناس أجمعين .

أيقن جلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله أن تزكية النفوس بالدين وتثقيفها بتعاليمه القوية ومبادئه القويمة هما أساس يقوم عليه الإصلاح والعزة والكرامة

وخير عصمة من المبادىء الضارة والمذاهب الهدامة، فحرص منذ تولى عرش آبائه الأكرمين على أن يكون الأزهر الشريف منبع الهداية الإسلامية، ومصدر التعاليم الدينية الصحيحة لا فى مصر وحدها بل فى العالم كله.

ومن مظاهر ذلك فى مصر أنه أمر بأن تبث المعاهد الدينية فى الأقاليم فأنشىء منها فى عهده المبارك خمسة نظامية وأضيف الى بعض المعاهد الابتدائية أقسام ثانوية وشجعت المعاهد الحرة فجعل لها فى ميزانية الأزهر مبلغ كبير أعانها على أداء رسالتها فى التهذيب والتعليم وبذلك زاد عدد المعاهد الدينية فى البلاد حتى أربت على العشرين.

ومن مظاهر ذلك فى خارج مصر أن جلالته حفظه الله أمر بإيفاد كثير من البعوث التعليمية الى البلاد الإسلامية تثقيفا لأبنائها ونشرا لدين الله فيها، كما أمر باستقدام بعوث كثيرة من البلاد المختلفة لتلقى العلم فى معاهده وكلياته الى جانب إخوانهم المصريين، وهاهم أولاء قد أوفت عدتهم على ثلاثة آلاف من مختلف الأجناس يجدون فى كنف الفاروق من الرعاية والتكريم والتهذيب والتعليم ما يلهج ألسنتهم بصادق الشكر وخالص الدعاء للمليك المحبوب، كما أمر حفظه الله بأن توفد وفود من علماء الأزهر الى جامعات أوروبا ليحيطوا علما بما عند أهلها من علوم نافعة ويعرفوا لغاتهم ويدرسوا أحوالهم وينشروا بينهم محاسن الإسلام وينفعوا قومهم إذا رجعوا إليهم.

وقد أنشىء بتوجيه جلالة الملك المعظم مركز ثقافى إسلامى فى انجلترا، وسينشأ مثله إن شاء الله تعالى فى أمريكا، ونرجو أن يتمكن الأزهر من تحقيق رغبة جلالته فى الإكثار من هذه المراكز.

ومولانا الفاروق أعزه الله لا يألو جهداً فى العمل على تقوية الأزهر، وتوطيد دعائمه، وتوفير أسباب الطمأنينة لأهله من علماء وطلاب حتى يتفرغوا للعلم ويعكفوا على خدمة دين الله القويم.

وإنى لأعلم من حدبه على الأزهر وعطفه على الأزهريين ما يجعلنى مستبشراً بالخير، واثقاً من أن هذه الجامعة الكبرى سترقى فى عهده السعيد إن شاء الله تعالى إلى ذروة مجدها وتحقق آمال جلالته وآمال سائر المسلمين فيها.

وقد تلقيت من توجيهاته السامية فى شتى نواحى الإصلاح ما جعلته برنامجى وعهدى، وأسأل الله تعالى المعونة عليه والتوفيق إلى تحقيقه.

مكتبتنا العربية

أيها الأزهريون :

إنى لأعلم أن قلوبكم مفعمة بالولاء والحب والإخلاص لجلالة مولانا الملك المعظم ، وأعلم أنكم قادرون فضله عليكم وبره بكم حق قدرهما ، فما أحراكم بشكر هذا الفضل والاعتزاز بهذا البر ، وإنما يكون ذلك بقيامكم بواجبكم علماء وطلاباً حتى تحققوا آمال المليك فيكم ، وتؤكدوا للعالم ما عرف عنكم من أنكم جنود الله وحفظة دينه ، وحملة كتابه ، وتبعثوا فى الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وأجناسها روحاً من القوة والصلاح تستعيد به مجدها وسالف عزها وكرامتها .

إنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بكم . ولا قيام لها إلا على أساس دعوتكم . فإنها دعوة الحق فانهضوا بأعبائكم كراماً أولى قوة وابتغوا وجه الله تعالى فيما تعملون يصلح الله أموركم ، ويصلح بكم . واعلموا أنكم جنود الله فجاهدوا فى الله حق جهاده واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

اللهم إنا نسألك ونبتهل إليك أن تكلأ بعين رعايتك التى لا تنام جلالة مولانا الملك المحبوب فاروق الأول .

اللهم امنحه من لدنك نصراً مبيناً ، وارزقه دوام العافية ، وتمام النعمة وحسن المزيد .

اللهم يا حى يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام . نسألك أن تجعل هذه الخطبة السعيدة فاتحة لخير عظيم تقر به عين جلالة الملك ، وتسعد به أمته وتتحقق به آماله ، إنك يا رب أكرم الأكرمين ، وأجود الأجودين وذو الفضل العظيم .

اللهم أعز به الاسلام وأرفع به راية القرآن ، واجعل عهده حافلا بالخير واليمن والاقبال وقوى به شوكة الإصلاح والمصلحين من عبادك الصادقين المخلصين .

اللهم أصلح فى عهده الميمون جميع شئوننا ، ويسر أمورنا ، واجمع ، شملنا وألف بين قلوبنا ، ونسألك اللهم أن توفق رجال حكومة جلالة مولانا الملك إلى ما فيه الخير العميم وأن تسهل لهم كل صعب وتيسر لهم أسباب رفعة شأن الأمة وسمو مكانتها إنك يا رب ولينا وكفى بك نصيراً وأنت يا رب مولانا ونعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مكتبتنا العربية

ليس من هنا نبدأ

تبين لنا من متابعة اطلاعنا على كتاب (من هنا نبدأ) أن المؤلف يروج للإشتراكية ، وهذا تطوع لا شية فيه ، فقد يكون مقتنعا بأن الأمة التى لا تأخذ بالاشتراكية لا تقوم لها قائمة ، فلا يؤاخذ على أن ينصب من نفسه داعية لها فى أمة دستورية ؛ ولكن الذى يؤاخذ عليه تصوير الدورة الاقتصادية للأمم تصويراً خاطئاً ، ورفع الاشتراكية العامة إلى مصاف العوامل الأولية فى ترقية الشعوب ، واعتبار الأشكال الأخرى من الاجتماع ، صوراً وقتية آيلة إلى الاشتراكية لا محالة ، سواء أسرعت فى تطوراتها أم أبطأت ؛ فأسرف لأجل ذلك فى المرغبات فيها ، وارتكب فى سبيل المبالغات ما لا يسمح به فى كتاب علمى من أخطاء ، وفاته أمر خطير وهو أن للتطورات الاجتماعية أدواراً لابد للجماعات من الدخول فيها ، واستيفاء آمادها حتى تستعد الجماعة لقبول ما يليها ، وربما نشأت حوادث دفعتها للوراء درجات كثيرة بعد أن كانت على مقربة من آخر أطوارها .

قلنا إن المؤلف ارتكب فى سبيل تحضيضه مواطنيه على الدخول فى الاشتراكية ما لا يسمح به فى كتاب علمى ، ونحن نناقشه الحساب فى بعضها لأن فى تركها على حالها فى مؤلف كتب له الانتشار تضليلا للكثير من القراء . فلنتابع ملاحظاتنا عليها فنقول :

قال فى صفحة ٩٢ : « إن أفحش غلطة نقترفها خلال سعينا للسلام هى التماسنا له فى الخارج ، فنظن أن المعاهدات ودورانا فى فلك دول أكبر سيملآن بلادنا سلاما وأمنا ، ولعل الدروس التى تعلمناها من معاهدة سنة ١٩٣٦ ومن منظمة هيئة الأمم ومجلس الأمن كفيلة بأن تلهمنا رشدنا » .

مكتبتنا العربية

نقول : الواقع أن أحداً فى بلادنا لا يرغب فى عقد معاهدات مع أية دولة من الدول ، ولكننا نرغم على عقدها ارغاما . فانجلترا لم تنجل عن القاهرة والأسكندرية إلا بعد عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ . ولو كنا أبينا عقدها لما انجلت عنهما . ونحن الآن نريد أن تجلو عن قناة السويس فتأبى إلا بعد أن نعقد معها معاهدة تسمح لها باحتلالها إذا شبت حرب أوروبية . فنحن كما ترى لا نتطلع للمعاهدات . ولا نصبو اليها ، ولكننا نتوسل بها لنكتسب خطوة جديدة نحو استقلالنا التام .

يريد المؤلف أن يثبت لقرائه أن وقوع طائفة من الأمة فى الفاقة المدقعة ، وتمتع أخرى بالرغد والسعة ، هو سبب كل بلاء يصيب الاجتماع ، ويدفع إلى الحروب . ونحن نوافقه على خطر هذا الوضع فى حدوده المعقولة : ولكن خطر الإدقاع فى الفقر قد زال بسبب ما جد من نظم العمل ، وتحديد الأجور ، وقيام النقابات ، ومعونة الحكومات للعمال ، وبقى أشد عوامل الحروب خطراً ، وهى تسابق الدول على التحكم فى بعض الطرق البحرية ، أو احتلال بعض البقاع الأرضية لضمان تصريف محصولاتها ومصنوعاتها .

أما القول بأن الحروب تزول إذا وجد الناس الخبز والزبد ، فهو بعيد عن التحقيق ، لأن العوامل التى تدفع إلى الحروب من تزاحم الأمم على الاستعمار ، وعلى بسط السلطان الأدبى على الجماعات المستضعفة ، لا تزال موجودة ، بل أخذت شكلا مهدداً لحق البشرية . وخاصة بعد اكتشاف صنع القنابل الذرية ، وهل يفوت الأستاذ انقسام الأمم إلى معسكرين : أحدهما يؤيد الرأسمالية الفردية ، والآخر يعتبرها شر الشرور البشرية ، وما يبدو من كليهما من التحفز ، والتأهب لمجزرة عالمية ؟ فهلا حسب الأستاذ حساباً لهذا التطور الجهنمى الفظيع للعوامل المولدة للحروب ، فاكتفى بذكر أسبابها البدائية التى لم يبق لها وجود فى أية أمة متمدنة .

إن مشكلة أجور العمال قد حلت نهائياً فى أعظم الأمم الصناعية ، وهى أمريكا وانجلترة وفرنسا وجميع الممالك الأوربية ما عدا إيطاليا ، وهى هنالك أيضاً فى طريق الحل ، فلم نعد نسمع عن تلك الاعتصابات الدموية ، ولذلك لم تجد للاشتراكية صوتاً يسمع فيها ، ويمكن أن يكون هذا الهدوء بدء حياة طيبة يجد فيها كل عامل حقه موفوراً ، والعناية به وبأسرته بعد وفاته أصلا مرعياً .

مكتبتنا العربية

أما ما نقله عن بعض الكتاب وأدعى أنه يحرض على الشيوعية من أن مجموع الضرائب المقررة على الأراضى الزراعية تبلغ ٤٧٠٠٠٠٠ جنيه فى حين أن مصلحة الرى التى تقوم على خدمة هذه الأراضى وتنظيم ريها تبلغ ٦٢٠٠٠٠٠ . أى أن مصر تتبرع سنويا للسادة أصحاب الأملاك بمبلغ ١٥٠٠٠٠٠ جنيه . فهو ليس بشىء لأن الحكومة بإقامتها مصلحة للرى لا ترمى الى مصلحة طائفة من الطوائف . ولكنها ترمى لإيجاد نظام للرى فى أمة لا تقوم بدونه .

ثم قال : « ونظرة أخرى الى الميزانية ترينا أن قيمة عوائد الأملاك المبنية تبلغ ٩١٢٠٠٠ جنيه فى حين أن نفقات مصلحة التنظيم تبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه . فكل رقم تقع عيناك عليه يصرخ فى وجهك بأن الثورة على النظام الإقتصادى حق ويؤكد لك أننا نعيش فى بلد يصرف فيه الفقير على الغنى ، وتبنى فيه الثروات بالظلم الرسمى والجهل الحكومى » .

أما نحن فنقول . وقبل أن نقول نسأل : ما هو ذلك النظام الاقتصادى الذى يلعنونه ؟ هل من مقرراته أنه يسمح لبعض طوائف الأمة أن تجد وتعمل وتكسب المال وتدخر ما يزيد عن حاجتها منه وتشترى به ضياعا ودورا ، وتحرم طوائف أخرى من ذلك وتحد أمامها مجال الإرتزاق . وتحصره فى وجوه محدودة ؟

إن كانت على هذه الشاكلة فهى مقررات جائرة . ويجب ليس لعنها فحسب بل والعمل على محقها . والتسوية بين جميع طوائف الأمة فى الانتفاع بمواهبهم وجهودهم فى رفع مستوى حالتهم الاقتصادية . فإذا كانت الأرض تضيق عن سد مطامعهم فمجال التجارة يسعهم ، فإن ضاق عنهم ففى الصناعات ميادين لا تحد ، ووراء كل ذلك العلم الذى ليس له حد يقف عنده . ولا لإمكانياته نهاية يتعذر تجاوزها .

ولكن يظهر أن أصحابنا يريدون أن يخولوا الحكومة فوق ما لها من حق حفظ النظام ، والسهر على الأمن العام ، والفصل فى الأحكام ، حقوقا جديدة تبلغ بها إلى حد التحكم فى توزيع الثروة العمومية للأمة ؛ فلا تدعها تدور مع الأمة حرة فى أدوار رقيها المدنى والتعاملى ، بل أن تقيد وتوكل إلى إرادة الحكومة تتصرف فيها كما تريد . والحكومة كما تعرف أفراد من الناس لا من الملائكة .

مكتبتنا العربية

وهذا نظام ينافى ما عليه الأمم المتمدنة من جهة ، ويعطل حركة التجارة من جهة أخرى .

نعم الغرض منه أن لا يحرم الفقراء وهم السواد الأعظم فى الأمم من مقومات الحياة ، ولا يتعرضون معه للفاقة والإعواز ، وأن لا تتضخم ثروة الأغنياء فتبتلع ثروة الأمة وتحتكرها لعدد محصور من الأفراد . ولكن أطباء الاجتماع قبل أن يعمدوا فى علاج هذا المرض إلى البتر ، عمدوا إلى الحد من تضخم الثروات بفرض الضرائب . وهذا مجال يمكن التوسع فيه إلى حد بعيد يصل إلى أقصى ماتستدعيه الحال . وهو أفضل من الحل الأول ، لأنه يتماشى مع النظم الدستورية ، ولا يعتبر شذوذاً عن المألوف فى الجماعات ، ولا يفضى إلى تحكيم عدد يعد على الأصابع من الرجال فى أمة يبلغ عدد أفرادها عشرات الملايين .

يعطى الأستاذ مؤلف (من هنا نبدأ) عن المجتمعات العربية صورة مزعجة قاتمة . وهو لم يبالغ فيما كتبه عنها . ولكنه عزا ما هى فيه إلى النظام المالى الذى هى عليه . وفاته أنها مصابة بضروب من الأمراض الاجتماعية والأدبية تحول دون تطورها فى أدوار التقدم والارتقاء . بحيث أنه لو طبق عليها أرقى نظام مالى لما غير من سوء حالتها التى هى عليها فيد أنملة ، بل ربما أسرع بها إلى الهاوية .

وإذا كان هذا النظام المالى أو كما يسميه بالرأسمالية الفردية ، وبالرجعية الاقتصادية ، هو علة كل بلاء يصيب الجماعات . فما بال الدول الأوربية الكبرى لا تزال مبقية عليه . ومحتفظة به ؟ نعم إن لدى كل منها حزبا يدعو إلى الاشتراكية ولكنه لا يبلغ عند واحدة منهن أكثر من خمس أعضاء مجالسها النيابية ، وهى قلة لا تؤثر فى وجهة سياستها العامة ، فكيف يسمح كاتب لنفسه أن يزعم أن الأمم لا يستقيم لها حال إلا إذا أخذت بالاشتراكية . وبأى سلطان يستسيغ كاتب أن يكتب مثل العبارة الآتية فيقول :

« هذه الرجعية هى التى توقد نار الحرب بين الأمة الواحدة لتمزقها وتحرقها ..

ويقول :

« هل نحن حريصون على سلام بلادنا وسلامتها ؟ وهل نرغب فى تجنيبها

مكتبتنا العربية

ويلات الفتن والاضطرابات ؟ إذن فلنكافح (الجريمة) . وأفضل من ذلك أن نقضى على العوامل التى تيسر نشوء (الجريمة) . فالوقاية كما يقولون خير من العلاج . وإننا حين نتتبع سير الانتفاضات العنيفة التى وقعت فى التاريخ لا نكاد نجد لها سوى سبب واحد هو : أمة تريد وحكومة تأبى » الخ .

نقرأ هذه العبارات ونعجب ولا ندرى كيف تكتب . ولمن تكتب ؟ فاما لدينا فالأمة إن طلبت من حكومتها شيئا فلا تستطيع أية سلطة أن تأباه عليها ، لأنها أمة ذات نظـــام دستورى تستطيع أن توجد لنفسها كل ما ترجوه من النظم والتقاليد .

وأوروبا على أرقى مما نحن عليه من النظام الدستورى ، وهى أعرق منا فيه ، فلا يوجد فيها حكومة واحدة تحدث نفسها أن تأبى على شعبها شيئا يريده ، وكيف تتجارأ على شىء من ذلك ، أو تحدث نفسها به ، وهى وليدة إرادة الشعب ؟ فإن طلب الشعب إليها شيئا فإما أن تنفذه وإما أن تستقيل : فإن استمالت قامت غيرها مكانها ونفذت رغبة الشعب ، لأنه المسئول وحده عن شئونه كلها .

وقد خولت الشعوب حكوماتها بعض السلطات حين ترى أن الحالة تستدعى استفتاء الجماعة فى مبلغ ثقتها بنوابها الحاليين أمام ما هى بصدده من الشئون ، فخولتها الحق فى أن تطلب من الملك أو من رئيس الجمهورية أن يستفتى الشعب فى الأمر الذى يثير الخلاف بين نوابها والحكومة ، فيحل المجلس ويدعو الشعب لانتخاب غيره . فإذا انتخب الشعب نوابه الجدد ، وأخذ رأيهم وجاء مؤيد لرغبة نوابه السابقين ، قامت الوزارة بتنفيذ ما يرغبون ، لا تجرؤ سلطة فى الأرض أن تردها أو تعطل من سيرها .

هذا مؤدى النظام الدستورى الذى تقوم عليه جميع حكومات العالم المتمدن فهل يمكن لمن يلم به أن يفهم المراد من قول الأستاذ المؤلف : (أمة تريد وحكومة تأبى) ؟ فهذه الحكومة لا توجد فى عهدنا الذى نعيش فيه إلا لدى الشعوب التى لا تزال فى عهد السذاجة الاجتماعية ، ولسنا وليست أمم أوروبا قاطبة منهم .

فإذا بدا لأهل الرأى من علماء الاجتماع أن تأخذ الأمة بمبدأ جديد ثبت نفعه ، فالطريقة الوحيدة للدعوة إليه أن يفضوا به إليها على صفحات الجرائد والمجلات ،

مكتبتنا العربية

وأن يصدروا به كتباً ونشرات رجاء أن يذيع العلم به بين الناس ، فيصل من هذا الطريق إلى نواب الأمة ، فإذا اقتنع به عدد كاف منهم أسرعوا إلى جعله موضوع مناقشة برلمانية ، فيشتد النقاش فيه ، وتتجلى جميع خوافيه . فإذا كان موضوعه ماليا تصدى له أعضاء مجلس الشيوخ وهم أقوى أنصار الرأسماليين ، فيشتدوا فى نقده ، وإظهار جهات ضعفه ، ونواحى خطره ، وقد يعملون على رفضه . فإن اقتنع أعضاء مجلس النواب بأدلتهم وافقوهم على دفعه ، وإلا أصروا على تأييده ، وتأخذ الإجراءات النيابية طريقها فى تقرير مصيره .

هذا هو الطريق الدستورى فى بث التعاليم والمذاهب فى الجماعات الدستورية ، لا أن تطالب من الحكومة مباشرة .

وقد قصد واضعو الدساتير هذا النظام فى بحث المطلوبات الجديدة لتتمكن الأمة من دراستها دراسة عميقة ، بتقليبها على كل وجه ، وإطلاق الحرية لكل عالم لها أو معترض عليها رجاء أن يجدوا الوقت الكافى والحرية المطلقة للاحفاء فى دراستها ، وإبداء آرائهم فيه غير متأثرين بشىء غير المصلحة العامة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

محمد فريد وجدى

إيمـــان

قال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت فى بذل المال .

فأجابهما : بأبى وأمى أنتما إن الله قد عودنى أن يتفضل علىّ وعودته أن أتفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى .

وقال المأمون لمحمد بن عبادة المهلبى : أنت متلاف . فأجابه : منع الجود سوء الظن بالمعبود . يقول الله عز وجل وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنفق بلالا ، ولا تخش من ذى العرش إقلالا .

وقال صلى الله عليه وسلم : الخلق عيال الله ، فأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله

فى سبيل الله والأزهر

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أما بعد :

فقد أردت نفسى جاهداً على أن تكون كلمة هذا العدد فى باب من الأبواب التى أكتب فيها المتصلة بالفلسفة والفكر عامة ، فابت إباء شديداً . وحتمت علىّ أن تكون هذه الكلمة عن الأزهر خاصة ، ولا عجب ! فلئن كان الأزهر فى كل أدوار تاريخه الطويل الحافل ملء الزمان ، فهو هذه الأيام ملء الزمان والأسماع ، حتى استرعى انتباه البلد كله ، وأفردت له الصحافة الكريمة مكاناً كبيراً . فنحن لا نعيش هذه الأيام إلا له ولا نفكر إلا فيه .

يتساءل كثير من الناس ممن لم يتبطنوا الأمر ، ولم يفقهوا ما يراد بالأزهر . عن السر فى ثورة الأزهريين جميعاً ، طلابا ومدرسين وأساتذة ، هذه الثورة الهادئة الجادة الحازمة ، وكيف أصبحوا يطلبون مطالب مادية كما يطلب الغير ، وقد عهدوهم زهاداً فى الدنيا حين يتكالب غيرهم عليها ؟ ولهؤلاء المتسائلين على هذا النحو أتوجه بهذه الكلمة :

ما كان الأزهر فى يوم ما طالب دنيا . ولكنه صاحب رسالة يحرص على أدائها ، ويرجو أن يعان عليها ، بل ألا يحال بينه وبينها . وهذه الرسالة هى حفظ كتاب الله وحراسة شريعته ، وإذاعة التعاليم الإسلامية فى مصر وغير مصر من أقطار الأمة الإسلامية ، والعمل على أن يكون هذا الكتاب الكريم ، وتلك الشريعة السمحاء هما الفيصل فى البلاد الإسلامية فى نواحى التشريع والأخلاق والتقاليد .

مكتبتنا العربية

وهذه الرسالة ، على خطرها وجلالها وثقل ما تقتضيه من تبعات ، قام بها الأزهر فيما مضى من تاريخه الطويل ، وعرفت له الأمة الإسلامية عظم الدور الذى يقوم به ، فأحلته المحل اللائق ، ورفعته مكاناً علياً . أما اليوم فقد وضح ، حتى لمن كان أعمى أو لمن لا يحب أن يتعمق الأمور ويرد النتائج إلى مقدماتها وأسبابها الأولى . أن القائمين على شئون مصر فى هذه السنوات لا يريدون أن يقوم الأزهر برسالته من حراسة الدين وأخذ الأمة به ، حتى يتم لهم ما عملوا له زمناً طويلا من فصل الدين عن الدولة فصلا تاما . ومن أن يكون مجتمعنا مجتمعاً لا يمت فى مجموع مظاهره وتقاليده للشريعة بسبب قوى أو صلة متينة . ومن ثم راحوا يتحيفون حقوق الأزهر وأهله فى عنت . ويتحدونه وأبناءه فى جبروت ، ويحاولون صرف الناس عنه بطرق وأساليب شتى ، ويجدون مما بين أيديهم من الحكم وأسبابه العون فى كل ما يريدون ، بل ويجدون لهم أنصاراً ممن لا يريدون — فيما يزعمون — أن تتخلف مصر عن ركب الحضارة ، كأن الإسلام الذى أوجد أكبر حضارة عرفها الإنسان . أصبح حجر عثرة فى سبيلها هذه الأيام !

هذا ، وإنا نعتقد أن الحالة أو المحنة التى يمر بها الأزهر الآن ، وسيخرج منها بفضل الله ، وقد نفى عن نفسه الخبث ، وذاد عن عينيه النوم الثقيل البغيض ، هى نتيجة لسياسة ، وضع أسسها المستعمر منذ قرابة قرن من الزمان ، ولا تحمل الحكومة الحاضرة وحدها تبعتها .

إن الاستعمار على ضروب مختلفة لكل منها وسائله . ولكن مهما يختلف المستعمرون فى طريقهم وأساليبهم ، فإنهم يتفقون على وجوب القضاء على قومية البلد المستعمر . وهذه القومية تقوم على الدين واللغة والتقاليد . وهذه الغاية قد يسير إليها المستعمر فى عجلة وعنفوان ، كما فعلت فرنسا فى الجزائر . أو فى هون وتؤدة ، كما حاولت انجلترا فى مصر ونجحت فيه نجاحاً غير قليل .

لقد بدأ الأمر عندنا منذ طويل بالتهوين من شأن الدين واللغة ، أو تحيف حقوق القائمين بهما ، وجعلهم لدى الأمة فى منزلة أدنى من نظرائهم فى الثقافة ، والعمل والخدمات العامة للأمة . ومن ثم ، كان خريجو دار العلوم دون خريجى

مدرسة المعلمين العليا منزلة وراتباً ، مع اشتراكهما فى العمل فى المدرسة الواحدة ؛ وكان القضاة الشرعيون - ولا يزالون - دون القضاة الأهليين فى المرتبة المادية والأدبية ، مع الاستواء فى الحكم بين الناس . وما لذلك من تبعات جسام ؛ وكان خريجو الأزهر فى منزلة أدنى من هؤلاء جميعاً .

ثم انقضى الاستعمار بحمد الله ، ولكن بقى - لا أقول أذناباً وصنائع - من يخدمون بعض ما كان له من غايات ، من حيث يدرون أو لا يدرون ، فاحتطبوا فى جعله زمناً طويلا ، حتى انتهى بنا الأمر إلى كثير مما كان يريد .

ها هو ذا أحد المسلمين ، وله مكانة ملحوظة فى البلد ، يقول فى كلمة نشرتها له أوائل عام ١٩٤٩ صحيفة إسلامية واسعة الانتشار : ولا يخفى أننا فى مصر نجرى ، فى حكمة واعتدال ، على فصل الدين عن أمور الحكم وخلافات السياسة .

وها هو ذا آخر درس القانون ، وصار من المحامين ، يقول فى عريضة دعوى الآنسة المحامية أمينة مصطفى خليل التى دفعتها أمام محكمة القضاء الإدارى تشكو وزير العدل إن لم يعينها وكيلة نيابة أو محامية بقلم قضايا الحكومة بعد أن استشار فى الأمر رجال الدين ، يقول كما جاء بمجلة أخبار اليوم بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠ :

« وقد أخطأت وزارة العدل السبيل حين توجهت إلى رجال الدين تستفتيهم فى مسألة اجتماعية لا تتعلق بالدين — كما لو كانت مسألة ولاية المرأة القضاء أو شيئاً منه أمراً لا يتعلق بالدين والشريعة الإسلامية — فى كثير أو قليل . فكان حتما عليها ، حتى لا تتخلف عن السير فى ركب الحضارة ، أن تسائل نفسها : هل تقوم فى مصر حكومة دينية ؟ وهل الحكومة القائمة تطبق المبادىء الشرعية حتما وصدقا ؟ أو هل يعيش المصريون فى مجتمع شرعى تطبق فيه أحكام الدين الحنيف ؟ فإذا كانت الإجابة عن هذه الأسئلة بالسلب ، حق على وزارة العدل أن تتورع عن الزج بالدين فى الأمور الاجتماعية البحتة » ، إلى آخر ما قال ! ونحن نعتقد مع محامى المدعية أن الإجابة عن هذه الأسئلة كلها هى بالسلب ، وهذا مايكشف لنا عما وصل إليه من النجاح أنصار إقصاء الدين عن الدولة والمجتمع نفسه . وهم مع هذا يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، متجاهلين قوله تعالى فى سورة المائدة : « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ! مع أن الحافظ بن كثير

مكتبتنا العربية

وهو من أجل علما والإسلام ، يقول فى أثناء تفسيره لهذه الآية : « فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله » .

وأخيراً . من باب التمثيل ، لا من باب الاستقصاء . نرى الأزهر يذاد عن القوامة على الشريعة فيما يفرض على البلد من قوانين ترجع إلى كثير من المصادر ما عدا شريعة الله ورسوله ! كما لا يسمع له فيما يجرى فى مصر من منكرات ومظالم وآثام ، وفيما يشيع فيه من تقاليد تبعد عن أمر الله والخلق الطيب بعد المشرق عن المغرب !.

أرأينا إذاً أن التهوين من الأزهر وأبنائه وعلمائه ورجاله عامة . وانتقاص حقوقهم جميعا فى غير ورع أو حياء ، أمر يجرى على سنن مرسوم وسياسة وضع المستعمر أسسها ووسائلها منذ زمن طويل ! وأنه من عدم فهم الأمر على حقيقته ، ومن تجاهل العلل الأولى لهذه المحنة التى نمر بها ، أن يقال إن الأزهريين يثورون طلباً للمادة كما يفعل الأغيار !.

ألا إن الأمر أخطر من هذا كله كما رأينا : ألا وإن من يؤمن بالله ودينه ، والرسول وشريعته ، والأزهر ورسالته ، طلاباً وأساتذة ورؤساء ، ليس له أن يتزحزح خطوة واحدة عن هذا الموقف الذى نقفه الآن جميعاً فى سبيل الله والأزهر . وإلا كان فاراً من الزحف ، وباء بسخط من الله ورسوله والمسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها .

إن الأمر أيها الناس ، لا يعدو إحدى اثنتين : إما ألا تكون مصر والعالم الإسلامى كله فى غير حاجة للأزهر ، أو أن تكون فى حاجة ماسة له .

فإن كانت الأولى فليغلق الأزهر ، وليتفق ما يرصد له فى الميزانية على غيره من مرافق البلد ، وليريحونا من هذه الحياة التى لا يرضاها حرّ أبى كريم .

وإن كانت الأخرى ، وهذا ما نعتقده صحيحاً ، فعلى الدولة أن تعرف للأزهر وأبنائه منزلتهم ، وأن توفر لهم الحياة الكريمة كفاء ما يقومون به من رسالة وما عليهم من تبعات ، وعلى الأمة الإسلامية كلها أن تطالب الدولة بذلك كله فى جدّ وإلحاح من يعرف أنه يطالب بحقه . وأقول : « على الأمة الإسلامية » ، لأن الأزهر وإن كان فى مصر ، ليس لمصر وحدها ، ولكنه لأمة الإسلام جميعا ،

والأمر فى هذا ثابت واضح لا يحتاج إلى دليل أو توضيح . وليس لأحد ممن بيدهم الأمر أن يتعلل لمحدثيه بإمكان الميزانية العامة للدولة أو عدم إمكانها ؛ وإلا فكيف تتسع هذه الميزانية للإغراق على جميع الطوائف ، بل وللإغراق على فرق التمثيل والرقص نستقدمها من أوربة للترفيه عن الأغنياء المترفين !

هذا ، ونقول أخيراً ما قاله فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين مخلوف عضو « جماعة كبار العلماء » ، لدى فضيلة أستاذنا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، إن المسألة ليست اليوم مسألة مطالب عادلة فحسب ، وإنما هى مع ذلك مسألة كرامة وعزة . ويجب أن يكون للأزهر قيمته ومنزلته التى عرفها التاريخ وعرفها العالم الإسلامى ، فيعترف له بحقوقه ، ويقدّر أهله وما يؤدون للبلاد من خدمات التقدير اللائق . . . وإننا ، ثقة بلفتات جلالة المليك التى شملت الأزهر فى كل شئونه بمزيد من العطف والرعاية ، لنرجو أن يكشف الله بها هذه الغمة ، ويزيل بها هذه المحنة .

ونقول أيضاً : أحبب بهـــذه محنة جعلت الأزهريين ، طلابا ورؤساء ومرؤوسين ، جسما واحداً ورجلا واحداً فى سبيل الله ودينه ، ورسوله وشريعته ، والأزهر ورسالته ، والله المستعان ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عتاب

دخل أبو دُلَف أحد قواد جيوش الدولة العباسية على أمير المؤمنين المأمون ، وقد كان عتب عليه ثم أقاله ، فقال له وقد خلا مجلسه : قل أبا دلف وما عسيت أن تقول وقد رضى عنك أمير المؤمنين وغفر لك ما فعلت ؟ فقال أبو دلف : يا أمير المؤمنين :

ليالى تدنى منك بالبشر مجلسى ... ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة ... إلى بها فى سالف الدهر تنظر

فقال المأمون : لك بها رجوعك إلى مناصحتك ، وإقبالك على طاعتك ، ثم عاد له إلى ما كان عليه .